١





نساء في قطار الجاسوسية

صالح مرسي

مكتبة مدبولي الصغير

ر

ة

سيد عبد الفتاح

المقدمة

لماذا يرتبط وجود المرأة فى ج
بالجنس ؟!

كان هذا السؤال الذى طرحه علىّ أحد الزملا
مناقشة حول دور المرأة فى هذا الحقل الغريب والخط
هناك مجال لإنكار هذه الحقيقة وإن كانت ، فى واقع
مطلقة ، فليس شرطاً أن يقترن وجود المرأة فى أية
الجاسوسية بالجنس كعملية فسيولوجية ... وربما
شيوع هذه المقولة أو هذا التصور ، سواء فى عالمنا ال
كله ، أن « الجنس » وسيلة من وسائل السيطرة
المحفوف بالمخاطر ...

إذا كانت وسائل السيطرة تتنوع بتنوع نقاط الض
للإنسان ... إلا أن الثابت تاريخياً ، أن « الجنس
يسيطر على البشر فى كل العصور ، وإذا كان للم
وسائل السيطرة ، تأثير السحر على بعض النفوس ،
بما يحتويه من آثاره تفرضها طبيعته !

بان أساسيان وإلا انتفى المدلول أصلا ... هذان الرجل معاً ... وإذا كان التاريخ يحتفظ لنا بأسماء عليهم بواسطة نساء وقعوا فى حبهن ، فهناك نفس القدر من الذيوع والشهرة – نساء سيطر الوسيلة !

السؤال – بالتداعى – إلى مجموعة أخرى من

تجسس فى كل عصور التاريخ بالرجل كعنصر ل مساعد ؟!

كلمة « جاسوس » تعنى رجلاً ولا تعنى من ندرة تلك العمليات التى تمت فى التاريخ دون نصر من عناصرها الأساسية ؟

ات رست فى النهاية عند سؤال أردت البحث

ك المرأة التى ركبت قطار الجاسوسية ؟

ها ؟!

مزايا ، أو مواصفات خاصة للجاسوسية

هل تتميز هذه عن ذاك أو هذا عن تلك بما يجعل كنوع ، ظواهر معينة تدل عليه ؟!

وراحت الأسئلة تترى بلا توقف ، وجدت نفسى أحيا ف من البحث والمقارنات ، واكتشفت ، ليس فجأة بطبيعة الح مثل هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة من نوع أكاديمى ، درا وأن تبدأ بالبحث عن قصص بعض هاته النسوة اللواتى ع حقل الجاسوسية !

وكان لابد – بداية – من تصور لهذا النوع الخطر من النشاط الإنسانى .

ولا أعتقد أنى – بالخيال – أتجاوز الحقيقة إذا ما قلت إن الجاسوسية مثل قطار كانت محطته الأولى عند فجر الإنسانى ... قطار يسير بطول هذا التاريخ إلى محطة أخيرة تب نهاية الجنس البشرى وحياته هو فوق سطح الأرض !!

وإذا كانت بعض النظريات تقول : أن التجسس وجد مع الإنسان على سطح الأرض ، وحتى قبل تكوين المجتمعات أصحاب هذه النظرية يردونها إلى تلك الحياة التى عاشها الأول عندما كان يشرع فى اصطياد فريسة يتبلغ بها هو و قبيلته ... إنه فى البداية يتقدم من الفريسة فى بطء وخفة م يعاين مكانها ، ومدى قوتها ، ووجودها داخل مجتمعها أو ق

ة وأساليب تقدمت بتقدم الحضارة الإنسانية ...
حظة المناسبة ، انقض على الفريسة واقتنصها !

س فى صورته البداية .

بالنسبة للتجسس المضاد .

ن ، إذا ما استشعر الخطر من حيوان أو عدو ...
ربما تسلق شجرة . وحصن نفسه ... إن الخطر
ة إلى مواجهة لا تستعمل فيها القوة إذا ما كان
جائعاً » على سبيل المثال ... وهو في تحصنه هذا ،
س مضاد ، أو ما تعودنا أن نطلق عليه خطأ اسم
» !

الأمر ، أن هذا التصور يقودنا إلى حقيقة جديدة
التجسس والتجسس المضاد ، هى ، منذ بدء
قلية بحتة ... تماماً ، كما أن أجهزة الاستخبارات
ذكاء » !! ... ذلك أن القوة لا تستعمل إلا بعد
قلية تماماً ، وتصبح الفريسة ، أو العدو ، فى
بأن يهاجم أو يدافع !

د حفظ لنا على جدران المعابد أو فوق أوراق
س أو التجسس المضاد ، أو ربما عمليات من

عندما دخل الهكسوس إلى مصر ، انسحب الفراعنة إلى الصع
وكان لأبد من التفكير فى سبب انتصار الهكسوس على
الإمبراطورية المصرية ... وتوصل الفرعون « سقنن رع »
التكنولوجيا هى السبب فى ذلك الانتصار ، فلقد جاء الهك
بالعجلة الحربية التى يجرها الجياد فتنطلق بسرعة شديدة
صفوف الجيش كى تبث الرعب والارتباك فى قلوب الجنود
تعودوا الحرب وجهاً لوجه ، ولابد أن الحركة السريعة
الحربية ، وقدرتها الفائقة على المناورة ، كانت مثار دهشة
المصريون وارتباكهم أيضاً ... وهكذا توصل « سقنن رع
أنه لابد من الاستعانة بتلك التكنولوجيا الجديدة كى يتم
الهكسوس ... وإذا كان صنع العجلة الحربية فى حد ذاته أمراً س
إلا أن الحصول على الخيول كان هو العقبة ... وهكذا ،
الفرعون أربع مجموعات من الرجال – الذين نستطيع أن نطلق
دونما تجاوز اسم الفدائيين ، أو رجال الصاعقة – كل مجموعة
من أربعة أفراد ، وكانت مهمتهم هى الحصول على أكبر قد
الخيول من ذكر وأنثى كى يتم تهجينها حى تصل إلى
المطلوب ... وإذا كان التاريخ يحمل لنا أن الرجل لم يحقق
العظيم وإنما حققه ولده « أحمس » إلا أن التكنولوجيا المصرية التى
عليها اسم « التحنيط » قد حفظت لنا مومياء « سقنن رع »
قتل فى إحدى المعارك الضارية بضربة سيف شجت رأسه وج

ه واحدة من العمليات التى يطلق عليها فى كل أنحاء العالم
دمة السرية » ... وربما كان لمثل هذه العمليات اسماً
صل إليها بعد ، لكن الثابت إن كلمة تجسس بحروفها
لولها ، لم ترد فى البرديات أو على جدران المعابد ... إنما
لفرعون يقول عن نفسه : « أنا عين فرعون » ... ثم
مة بحروفها ومعناها ومدلولها ، لأول مرة ، فى التوراة .

ر « العدد » الإصحاح الثالث عشر ، سوف نقرأ :

م الرب موسى قائلاً : أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض

كانت هذه هى المرة الأولى التى ترد فيها الكلمة ضحة جلية ... وبالتالى ، فإنه من المذهل حقاً ، أن نقرأ ف حدد نبى الله موسى لمن وقع عليهم الاختيار من بنى رائيل للذهاب إلى أرض كنعان ، مهامهم وواجباتهم قة تبعث على الدهشة والذهول ... فلقد جاء فى نفس صحاح :

أرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان ، وقال لهم :
هنا إلى الجنوب . واطلعوا إلى الجبل ، وانظروا الأرض

وما هى المدن التى هو ساكن فيها أخيمات أم حصون ، و
الأرض ، أسمينة أو هزيلة ، أفيها شجر أم ... ... »
ما جاء فى الإصحاح الثالث عشر من سفر « العدد »
الموضوع .

الملفت للنظر هنا أن موسى عليه السلام حدد بدقة ب
رجاله مما لا يخرج عن نفس المهام التى تطلب الآن لمن ي
أرض الأعداء مع اختلاف « المظاهر » الحضارية لا أكثر و
إن هذا الذى جاء فى التوراة منذ آلاف السنين ، ليس س
تجسس فى أدق صورها تبسيطاً وتركيزاً فى نفس الوقت

كذلك سوف نجد فى نفس السفر – سفر العدد – فى
العاشر ، أن نبى الله موسى يطلب من « حوباب بنى رع
يمضى مع بنى إسرائيل إلى حيث هم ذاهبون ... لكن حوب
قائلاً له : « لا أذهب بل إلى أرضى وإلى عشيرتى أمضى ، ف
سيدنا موسى – لا تتركنا لأنه بما أنك تعرف منازلنا فى البر
لنا كعيون » !!!

وهذا – بالتالى – هو ما نطلق عليه اليوم اسم «
المضاد » ... إن نبى الله ينبه حوباب إلى أنه يعرف عن بن
كل شىء ، فإذا ما جاء الأعداء وسألوه عنهم ، فلربما أع
المعلومات ما قد يضر ببنى إسرائيل !

رسية نشاط إنسانى دائب ودائم لم يكف عن الحركة
كبة الصعود البشرى فى مدارج الحضارة مواكبة تلتصق
سوياً ... ذلك أن هذا القطار العجيب ، قادر على تغيير
نه ذاتياً بتغيير المعرفة الإنسانية وتطورها حضارة بعد
اً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، وعاماً بعد آخر ، ويوماً
ربما وصل الأمر الآن إلى حد أنه يتغير من ساعة إلى
قطار من نوع غريب حقاً ، هو قادر على استيعاب كل
فى العلوم بل والفنون والآداب أيضاً ... وإذا كنت أرى
ون مخطئاً – إن علم المخابرات ، وهو يشمل الجاسوسية
ضادة وكل ما يندرج تحتهما أو بينهما من أفرع أو مجالات
ع التطور العلمى ، قد أصبح فى العصر الحديث هو
» ... فمرد ذلك . إلى أنى أرى أن عباءة هذا العلم
وم البشرية بلا استثناء ... بل ، قد يندهش البعض إذا
جزءاً هاماً من التطور الإنسانى الذى نطلق عليه كلمة :
، مرده أساساً – فى العصر الحديث بالذات – إلى
المخابرات وصراعها الدائم من أجل تطوير معداتها
اتها لبلوغ أهدافها أو لإبطال أهداف الأجهزة المعادية .

**وهكذا ظلت التجربة الإنسانية تخوض فى هذا الحقل
ب ظروف كل مرحلة وتاريخها وإمكانياتها ومدى**

**والنساء معاً ، يغادره من انتهت مهمته ،
أمره ... وقد تطوى قصته صفحات التاريخ
الأقبية ، أو تموت فى صدور القلة الذين عر
ينكشف أمره فيلقى مصيره ويصبح غ
أو خطر !**

لكن القطار دائماً ما يستقبل ركاباً جدد ، أو دما
يصعد إليه من يلقيه قدره أو قدراته من هذا النفر من
نعرفهم باسم « الجواسيس » ، فينجزون أو يسقط
بواجبهم حيال أوطانهم ، أو يخونون هذه الأوطان
أو حباً فى امرأة أو رجل أو إيماناً بمبدأ أو عقيدة ...
أدوارهم إلى أن تنتهى مهماتهم فيعتزلون . أو يسقطو
ذلك بين رجل وامرأة

غير إنى توقفت أثناء البحث والتنقيب فى حياة هاته
مارسن هذا العمل البالغ الخطر ، أمام ظاهرة ملفتة

ذلك أن كل قصص الجواسيس من النساء اللو
التاريخ أو عرفن بالبراعة والذكاء تكاد أن تخلو من
ندر ... وإذا كان البعض منهن قد استعملن الجنس
مآربهن ... إلا أن نسبة لا بأس بها قمن بما قمن به تلب
فى أن يلعبن هذا الدور الخطير ، وأن يعشن على حافة

جو ألا أكون مبالغاً فى نظر البعض – وكأن كل
رب فى دافع واحد أسمى هو : الاستمرار فى

ى الظاهرة الوحيدة التى توقفت أمامها عند النساء
التجسس ... فلقد توقفت أمام ظاهرة أخرى
مميزاً لقصص هاته النساء المغامرات وهى تلك
تنتهى بها قصص من انكشف أمرهن .

ة « مرجريتا جروترود زيللى » التى عرفت فى
ارى » ، كى نشاهد نهايتها المأساوية ، ليست فى
ن اخترقت رصاصات بنادقهم صدرها الجميل
ى جنرالات فرنسا بالبوح بأسرار الجيش إبان
... وإنما نهايتها المأساوية تتمثل فى امتدادها إلى
ى – التى كانت تبعد عنها بآلاف الأميال ...
ى فى يوم ١٥ أكتوبر عام ١٩١٧ ، وكانت
ابنتها التى تحدثنا عنها فى السطور السابقة –
نيسيا لا تعرف من أمر أمها شيئاً سوى أنها
وأفخر الثياب ... ولم تكن هذه الطفلة تدرى
له من الأم سوف يلاحقها بعد نيف وعشرين
الحقل وإنما بقدرة أكبر وذكاء أكثر حدة ...

الامبراطورية الفرنسية ، فإن باندا ، رغم جمالها الصارخ
البعض إلى أنه كان يفوق جمال أمها ، لم تلجأ إلى السحر
ولم يكن هذا واحداً من وسائلها ... رغم أنها انتقلت من
معسكر ، تجسست لليابانيين وضدهم ، وللأمريكيين ،
زعيم الصين الأسطورى « ماوتسى تونج » وجاء عليها
وكأنها تعمل من وحى ذكاءها أو إحساسها ، وأ
بلا رئاسة وبلا ضابط ، وانتهت ذات فجر دامس فوق
الشمالية ، ولولا المصادفة ، لما عرف أحد مصيرها ح

ولماذا نذهب بعيداً ...

إن حكمت فهمى كانت من أشهر فنانات مصر فى
ولقد شاركت إبان الحرب العالمية الثانية فى واحدة من أ
التجسس فى ذلك الوقت ... ولم يكن الجنس دافع
أيضاً ... إن كل الشواهد تقول أنها اندفعت لمشار
أو « حسين جعفر » فى تجسسه على الإنجليز ، فى
وطنى ... شأنها شأن الكثيرين من المصريين إبان
الثانية ... حتى إذا قبض عليها وزُج بها فى السجن ، خر
واحد دون أن تتفوه بكلمة ، أو تقابل صحفياً ،
قصتها التى كانت تعلم علم اليقين أنها سوف تدر علي
من المال ... خرجت حكمت فهمى من السجن الذ
سياسية ، ولم يكن فى هذا ما يشينها خاصة وأنها كا

بعد نشر فصول هذا الكتاب فى عدد من الصحف والمجلات العربية ، صدر كتاب بعنوان « مذكرات حكمت فهمى » ، من اعداد الأستاذ حسين الملا ، والمذكرات فى مجموعها تؤيد كل كلمة كتبتها عن هذه الفنانة التى رحلت عن عالمنا دون أن ينتبه أحد إلى حقيقة الدور الوطنى الذى لعبته !!

ن أرخوا لعملية حسين جعفر أو « هانزابلر » ... لم ور الخطير الذى لعبته حكمت فهمى ، وربما كان أن مصرياً واحداً لم يتعرض لتسجيل تلك القصة ، وها قصة أجنبية ... لم يتعرض لتسجيل هذه العملية انب ، لعل أشهرهم كان المراسل العسكرى البريطانى » ، والذى كان فى القاهرة أثناء العملية ، وكان له طبيعة الحال – فيها ، وله علاقة سابقة ببطلها الشاب المصرى الجنسية الذى عرف باسم « حسين قد وضع موزلى تحقيقه للقصة فى كتاب بعنوان » !

السيد موزلى الدور العظيم الذى لعبته حكمت

يجرؤ أحدهم على القول بأنه كانت هناك علاقة بينها وبين جعفر مما ينفى تماما وجود المال أو الجنس كدافع للتجسس ولا يبقى من عناصر التجسس الثلاثة ، إلا المبدأ ، أو الوطن من أجلها فعلت حكمت ما فعلت !

... ...

... ...

وعلى كل فالتاريخ حافل وملىء ...

هناك – مثلاً – تلك السيدة التى كانت تدعى « كارمن مورى » ، التى عرفت أبان الحرب العالمية الثانية باسم الأسود » لفرط قسوتها التى كانت لذتها العظمى !

وهناك قصة تلك الفتاة الفرنسية التى كانت تدعى « كاريه » التى عرفت باسم القطة ، والتى بدأت حياتها كج لصالح الوطن ، ثم انتقلت إلى معسكر الأعداء بسهولة للنظر ... لسوف يتقزز الكثيرون من هذه الفتاة ، لكنهم سوف يرون شيئاً آخر إذا ما أمعنوا التفكير ، مثلما فعل الفرنسى ممثلاً فى رئيس الجمهورية ، الذى خفف حكم الإعد إلى السجن مدى الحياة !

بالقدرة والذكاء معاً .

عميلة استيفانيا » فهذه هى الأستاذة ...

قولها وأعنيها ، فلقد كانت هذه السيدة أستاذة فى فن
لقد استطاعت ، وهى تعمل لحساب مخابرات ألمانيا
ن تخترق المخابرات الأمريكية وأن تعمل فيها كى تصبح كل
، يديها ...

حاولت أن أنوّع فى الأهداف والمرامى لكل جاسوسة ، غير
ا ، ليس سوى قطرة فى بحر بلا شطآن .

صالح مرسى

زهـرة الشـمس

أو ... ابنـة مـاتـا هـارى !

١

**لم تحظ جاسوسة فى العالم بمثل شهر
لأنها استطاعت بجمالها الخارق وسحره
أن تسيطر على عدد كبير من جنرالا
أبان الحرب العالمية الأولى ... وربما لأ
جاسوسة من نوع خطير – فى زمانه
فريد . فلقد نقلت إلى ألمانيا من أخب
الفرنسى ، ما لم تكن تستطيعه كتيبة
الجواسيس ... وربما ... ربما لأنها ترك
مع الثروة الهائلة من المجوهرات التى أغ
المعجبون والمتنافسون على قلبها من ضب
الفرنسى ، أسراراً لم يستطع أحد
أختامها حتى الآن !**

اسمها الحقيقى « **مارجريتا جروترود زيللى** » .
هولندية ، ولدت فى ٧ أغسطس (آب) عام ١٨٧٦ ، و
ضرب النار إعدامها فى أحد ضواحى باريس ، فى
١٥ أكتوبر عام ١٩١٧ . بعد اكتشاف أمرها ، وبعد أن
الاكتشاف دوياً هائلاً فى العالم كله !

جاوة الأندونيسية ... وباتافيا هذه هى التى أصبح
ستقلال « جاكارتا » وأصحبت عاصمة لأندونيسيا

فى تلك الأيام – شأنها شأن آلاف الجزر الأندونيسية
ط – مستعمرة هولندية ... عاشت فيها ماتاهارى
غامضة تماماً ، كما أنها ليست واضحة بقدر يكفى
التفاصيل ... غير أن الثابت ، أنها تركت وراءها
و « جاكارتا » عندما غادرتها إلى باريس فى عام
لا يتعدى عمرها ثلاثة أعوام ... تركتها فى رعاية
كان يعمل ساقياً فى أحد النوادى الليلية ... طفلة
لاف الأطفال الذين اختلطت فى عروقهم الدماء
دماء الآسيوية ...

ؤلاء الأطفال « المخلطين » ، قد تركوا فى الهند
ت وقصص ومآسى تبدو وكأنها جميعاً من نسج
كل مكان فى آسيا ، ترك الأوروبيون بصماتهم على
جدوا أنفسهم لا منتمين ... فلا هم أوروبيون ،
من أبناء البلاد ... ومعنى هذا باختصار ، أن والد
آسيوياً ، وبالرغم من ذلك ، فلقد سُجلت الطفلة فى
ت اسم : « باندا ماكلويد » !

السابعة والعشرين من عمرها ، تتمتع بجمال ياخذ بعق
الرجال وقاراً !! ... أكسبتها الشمس الاستوائية لوناً فر
بشرتها سحرا من نوع خاص ، ولا أحد يعرف – على وج
لماذا هاجرت ماتا هارى من جاوة بالرغم من مكانتها هنال
من بنات الجالية المتميزة المستعمرة ... كما أن أحداً لا يع
لماذا هاجرت إلى باريس بالذات ، ولم تعد إلى هولن
الأصلى ... غير أن استقراء الأحداث يشى بقصة مشتعلة
تلك الراقصة الهولندية البارعة الجمال ، وشاب من أبناء ال
الغموض يحيط باسمه حتى الآن ... قصة حب كانت
الطفلة التى أطلقت عليها اسم « باندا ماكلويد » ... ح
ملامحها بأن الدماء الجاوية تسرى فى عروقها حارة متأجج
هربت « مارجريتا جروترود زيللى » التى عرفت فى ال
« ماتاهارى » من قصة حبها تلك ؟! ... هل كانت قصة
هى السبب فى هجرها لطفلتها بعد أن سلمتها إلى ذ
الأندونيسى وزوجته ... وهل كانت هذه القصة هى الس
جعلها تهاجر إلى فرنسا بدلاً من هولندا حتى لا يصبح من
حبيبها أن يلحق بها هناك ؟!

أسئلة ... عشرات الأسئلة التى لا تزال –
الآن . ولا أحد يستطيع الزعم بأنه يعرف
كاملة ... لكن الجميع يعرفون أنها هبطت

ب .

• • •

١٩٠ استطاعت المخابرات الألمانية أن تجندها للعمل
ى أن تندلع شرارة الحرب العالمية الأولى ، سافرت
لى برلين فى جولة فنية استقبلت فيها استقبالاً حافلاً ...
ذلك الوقت لم يكن يدرى أن الغرض الحقيقى وراء
لم يكن هو الفن ، بل كان ستاراً كى تلتحق « ماتا
ن أن نسميه إحدى مدارس التجسس هناك ... حيث
ريباً مكثفاً ، عادت بعده إلى باريس ، كى تمارس
... تلك المهمة التى قادتها إلى الوقوف ذات فجر فى
قلعة « فنسين » القريبة من باريس — أمام فرقة
أن حوكمت ، وأدينت ، وحكم عليها بالإعدام !!

قت رصاصات فرقة ضرب النار صدر « ماتاهارى »
ط رأسها فوق صدرها وقد لفظت أنفاسها
يكن أحد يعرف ، أن آخر ما فعلته ، هو كتابة
ن كلماته الحنان ... كان الخطاب موجهاً إلى ابنتها
يش فى جزيرة جاوة ... وبالتالى ، فلم تكن « باندا »
ذلك الوقت — شيئاً عن أمها ... كل ما كانت
ى » ترسل لها من أوروبا أجمل الثياب والكثير من
ا حباً عظيماً تنضح به خطاباتها المنتظمة التى كانت

مثل هذا ... تجاوزت الأربعين من عمرها ... إلا بقليل وبعض ...

• • •

وحتى بلغت باند ماكلويد سن الرابعة عشر ، لم يكن يش
شيئاً، ولم تكن تعرف شيئاً عن موت أمها أو إعدامها ...
كانت تعيش فى أطراف « باتافيا » فى كوخ والدها الأ
وزوجته ... إلا أنها كانت قد تلقت قدراً كافياً من التعليم أه
جد لنفسها مكاناً فى المجتمع كفتاة اختلطت فى عروق
الهولنديين بدماء أبناء جاوة ... ففى المدرسة التى ألتحق
تعلمت أصول التعامل فى هذا المجتمع الاستعمارى الذى نس
الآن ... مجتمع كان يتكون من سادة هم الذين يستعمرون
وعبيدهم أصحاب البلاد الأصليين ... وفيما بين هؤلاء و
كان ثمة مكان لهؤلاء المخلطين ، مكان لا لون له ، يقبلهم الب
هؤلاء أو أولئك ، ويرفضهم الآخرون ... لكنهم فى النها
يتمتعون ببعض المميزات الاجتماعية ، خاصة ، أنهم شبوا عن
وقد حباهم الله ، واختلاط الدماء ، بجمال غير مألوف
تجتمع فيه نضارة الأوروبيون ، بملامح الآسيويين وسحرهم

فى أحد أيام ديسمبر عام ١٩١٧ . أى بعد إعدام م
بأقل من شهرين . عادت باندا إلى كوخ والديها بالتنبى و
بالحياة والنشاط ... كانت قادمة لتوها من أحد النوادى ا
للأوروبيين بعد أن مارست رياضة التنس التى كانت تعش

الديها بالأسئلة لكنها لم تجد إجابة سوى دموع ذرفتها
.

باندا سر ذلك الحزن إلا بعد عامين كاملين ، عندما
تاسعة عشر من عمرها !

الزمان ... كان سن التاسعة عشر بالنسبة للفتاة
سن الزواج الطبيعى... وقد عادت باندا فى يوم من أيام
البيت ، كى تزف إلى والديها خبراً سعيداً ، فلقد
ها ، السيد « ويلهلم فان ديرين » . وكانت هى قد
. قالت لوالديها :

أنى سأكون سعيدة معه ! »

بر غريباً على الوالدين ... ففى مدينة صغيرة مثل
ها الاستعماريون البيض بكل المميزات والخبرات ،
قمة المجتمع ... تصبح رغباتهم أوامر ، ويصبح
وعاً من الشرف ... ولما كانت باندا تحمل فى عروقها
فإن الأمر بدا طبيعياً إلى حد كبير !

الجانب الآخر – لم يكن هناك عيب فى السيد « فان
د كان موظفا كبيراً فى الحكومة الهولندية ، كما كان
قدر لا بأس به من الثراء ، وهو – بطبيعة الأمور –
ة رفيعة فى مجتمع جاوه ... ولم يكن يعيبه أنه يكبر

عندما زفت إليها الخبر ، وبعد أن أكدت لهما أنها واثقة من أن
تكون سعيدة مع « ويلهلم » !

سألتهما باندا وقد انقبض قلبها ، إن كان يعترضان على زو
السيد « فان ديرين » ، وكانت دهشتها بالغة عندما أجابها با
ولم يكن أمامها سوى أن تلح فى السؤال :

« **إذن ... لماذا كل هذا الوجوم الذى أصابكما ؟!** »

ولم يحظ سؤالها بجواب أكثر من نظرات يسيل منها الحزن
إلى الإلحاح :

« **هل تخفيان عنى سراً ؟!** »

وكان الرجل قد حسم أمره قال :

« **نعم يا ابنتى !** »

وأردفت الأم :

« **مادمت قد اتخذت قراراً بالزواج . فلابد لك أن ت**
شىء ! »

• • •

فى ذلك اليوم عرفت باندا سرها الهائل !

راح والداها الأندونيسيين يتحدثان إليها فى بطء من
كلمة !

الرصاص ، وأن قضاتها قد عاملوها أثناء المحاكمة بمزيد
... و ... ولكن ..

كل من عرفوها أحبوها وتمرغوا تحت قدميها ولها

الأب ، فأردفت الأم :

فلم تحب فى الدنيا أحدا قدر حبها لك !! »

إلى حيث دولاب صغير يضع فيه أشياءه الثمينة ،
طابا مغلقاً وعاد به إلى باندا التى كانت مصعوقة تماماً ،

ا الخطاب هو آخر ما فعلته فى حياتها ، وهو موجه

باندا إلى الخطاب وكانت أصابعها ترتجف ، سرى إلى
أمها الأندونيسية :

تك يا باندا أكثر من أى شىء فى الدنيا ، وكنت أنت
ت فيه قبل أن يطلقوا عليها النار ! » .

● ● ●

باندا عن ذلك اليوم فيما بعد ... ولا يذكر أحد ممن
ع منها شيئاً عن أمها ، ولا عن فحوى الخطاب الذى
ه حتى آخر يوم فى حياتها ، تنقله معها من مكان إلى

الشديدة الفقر !!

● ● ●

بعد ذلك اليوم الذى عرفت فيه باندا سرها ، بثلاثة أشه
زفافها على السيد « ويلهلم فان ديرين » !

ويحكى بعض أصدقاؤها أنها كانت تبدو ف
اليوم ، وقد رصعت رأسها بتاج من زهور جاوة ال
مثل حلم يزف إلى رجل بدا للجميع وكأنه يعيش
وأسعد لحظات حياته !

ورغم فارق السن بين باندا وبين زوجها ، فلقد عاشت
سعادة مقيمة ... انتقلت بعد الزواج إلى بيت من أجمل
باتافيا ... وعاشت عامين تمرغت فيهما فى جنة أنستها كل
حتى إذا كان يوم ، عاد السيد « فان ديرين » من عمله وهو
والآلام تمزق صدره ... طلب الرجل من زوجته أن
الطبيب ، فاستدعت أكبر أطباء باتافيا وأكثرهم حنكة .
الطبيب لم يستطع أن يضع شيئاً ، ففى صباح اليوم التالى ما
« ويلهلم فان ديرين » بحمى استوائية لم تكن معروفة
الوقت !!

... ...
... ...

لذراعى زوجها الذى أصبح بالنسبة إليها فى مقام الأب ... ولكن ، ها هى الآن قد عادت وحيدة فى هذ لا أب لها تعرفه ، وأمها سر تطويه فى جوانحها بحرص من ب المخاطر !

هناك متاعب مالية بطبيعة الحال ، فلقد ترك لها زوجها س بها ... ثروة مكنتها من دراسة الآداب والفنون ، راسة إلى لقاءات منتظمة مع صفوة المجتمع من فنانين أدباء وحكام ... شهر بعد آخر بدأت باندا تعود وتتعود الجديدة ... وتجمع حولها الأصدقاء والمعجبون وطالبى اختيارها لم يقع على أحدهم ... أضفى الحزن الدفين فى جمالها سحراً وغموضاً أشعلا الحب فى قلوب العديد من وأصبح بيتها صالوناً تجتمع فيه النخبة من مجتمع باتافيا ، صالون كانت تناقش فيه الفنون والآداب والسياسة بدا وكأن الحياة عادت تفتح لها ذراعيها من جديد ... لولا الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ ... وبعد قليل ان هذه الحرب ، وراحت جيوشها تجتاح المستعمرات الهولندية فى آسيا ... وما هى إلا شهور ، حتى تغيرت ستقراطية المالكة فى جاوة ... هرب الهولنديون أمام بانيين الذين احتل جنرالاتهم قمة المجتمع ... وأصبح انى « ياكيماتو » هو الحاكم الجديد للجزيرة !

• • •

ـها إلى الهولنديين الذين أصبحوا مطاردين ... كان أهم ما يع هذه الدنيا ، أن يظل سرها دفيناً ، وألا يعرف أحد من أمها ... فلقد كانت من الدراية بحيث تعرف معنى أن جاسوسة بالنسبة لليابانيين غلاظ القلوب ، بل أنها كانت أكثر ، ما الذى يعينه أن تكون ابنة ماتاهارى بالنسبة للأوروبيين إن فى هذا قضاء كاملاً عليها وعلى العديد من صداقاتها ...

ومرت سنوات ...

حتى كان يوم من أيام مايو عام ١٩٤٣ .

فى ذلك اليوم كان الجو شديد الحرارة ، خطت الساعة الثال الظهر ، وهجع الناس فى البيوت هربا من الحرارة الاستوائية الم عندما دق باب البيت . وهرول الخادم كى يرى من الطار كانت باندا فى غرفتها بالطابق العلوى عندما سمعت صوتاً أجشاً يسأل عنها ، ودار حوار لم تتبينه جيداً ولم يكن يعنيها أن تتبي الضيف السمج وبين الخادم الذى جاءها بعد لحظات مهرولا

« **عفواً سيدتى ولكن ... ...** »

« **ماذا هنالك يا على ؟!** »

« **ثمة زائر يصر على لقائك يا سيدتى !** »

« **فى مثل هذا الوقت !!** »

« **فى مثل هذا الوقت !!** »

أن اسمه زيللى !!! »

قلب باندا بين ضلوعها ... إن اسم زيللى هو اسم عائلة
ل هناك من يعرف سرها ؟!



٢

فى ذلك اليوم من أيام شهر مايو
١٩٤٣ . وقبل أن يأتى إلى بيت باندا ماك
ذلك الزائر الغريب... كانت هى تشعر
من القلق وربما الاكتئاب أيضا ... فمنذ أن ا
اليابانيون الجزر الأندونيسية ، وارتفع ع
يرفرف فوق باتافيا بدلاً من العلم الهولندى
تقلص صالون باندا الأدبى والفنى تقلصاً وا
فى انتظار ماسوف تسفر عنه الأيام! ...
جزءاً كبيراً من الذين يترددون على صالونه
الهولنديين الذين أصبحوا الآن مطاردين ...
كان هؤلاء قد تعودوا النظر إلى المخلطين – أ
باندا ماكلويد – نظرة تعال واحتقار ...
استطاعت بكياستها وبعد نظرها ، ثم بزو
من هولندى محترم ، أن تكسب لنفسها م
خاصةفى المجتمع جعلتها تتمتع بما كانت تتمت
الطبقة الحاكمة نفسها ... أما الآن فإن الو
قد اختلف كثيراً ... ذلك أن المستعمرين ا
وجدوا – كالعادة – منذ الأيام الأولى لوص
إلى باتافيا ، من يتعاون معهم ، وجدوا من

أرضها ... فما الذى قاله هؤلاء عنها ؟! ... وكيف كان البعض ينظرون إليها فى تلك الأيام ؟!

وحده كافياً لأن يبعث بالقلق إلى نفس باندا! خاصة وأن لوا أعداءهم بقسوة كانت حديث المدينة ... وبالرغم يقف الأمر عند هذا الحد ، ففى ذلك اليوم من أيام ١٩ ، أصدر الحاكم العسكرى اليابانى مرسوماً صارماً لاط الجنود اليابانيون بالفتيات المخلطات فى أندونيسيا !!

جدت باندا نفسها فى موقف لا تحسد عليه ، خاصة ن راحوا يشجعون جنودهم على الاختلاط بالفتيات ى تحت زعم أنهم جميعاً آسيويون . وأن اليابان إنما حزر الاندونيسية كى تحررها من المستعمر الأوروبى ولم يكن مفيداً أن تعرف باندا أن هذا الزعم ليس سوى وراءه رغبة اليابانيين فى الحفاظ على الأيدى العاملة فى مزارع المطاط الشاسعة ، وحتى تبقى العجلة ى الدوران ، والمصانع فى الإنتاج .

ل ، فلقد سرت إشاعة فى باتافيا تقول : أن الحاكم يابانى لديه قناعة بأن الفتيات المخلطات – أمثال باندا – أن يكون ولاؤهن للهولنديين الذين تجرى دماؤهم فى وبالتالى . من الممكن أن يصبحن عيوناً للهولنديين على

بالنسبة للسادة الجدد فى الجزيرة ، شبه منبوذة ... وكا أن عليها أن تجد طريقاً جديداً للحياة فى ظل العلم اليابا أو أن تفكر فى الهرب من جاوة ... ولكن إلى أين ؟ وقبل هذا ، كيف ؟!

وهكذا ، وعندما شارفت الساعة على الثالثة واشتدت درجة الحرارة وخلت شوارع باتافيا من الما المدينة سكون آسن ... كانت باندا تشعر مع الاكتئا والخوف ... أحست أنها بحاجة إلى قليل من شراب الأ ذلك الشراب الوطنى الذى كان قد شح فى تلك الأيام و على القليل منه يستلزم مغامرات غير مضمونة العواقب السوداء !

ما أن أعدت كأسها حتى وصلت إلى سمعها تلك ال على الباب الخارجى ، كما سمعت حفيف أقدام الخادم على صوت الباب وهو يفتح ثم صوت الزائر السمج وهو

« أليس هذا بيت السيدة باندا ماكلويد » ؟!

و ... ولم تتبين باندا ما دار من حوار بين الضيف غير أنها ، عندما أخبرها الخادم باسم « زيللى » ، أدرك على أن تراه ... فطلبت من « على » – هذا هو اسم يقص عليها ما حدث بالضبط .

تردد الخادم خجلاً ، فهتفت فى صوت خفيض :

ت تصرفاته وألفاظه ، فلابد أن أعرفها قبل أن ألتقى

..

ل أنه ما أن فتح الباب حتى خطا هذا الرجل الأوروبى
و يزيحه من طريقه بصلف ، وعندما حاول الخادم أن
ذلك الأوربى قائلاً :

أقابل صاحبة هذا البيت وعليك أن تخبرها بالأمر ! »

دا من « على » أن يخبر الزائر أنها فى الطريق إليه ...
تى استغرقتها فى استبدال ملابسها . كان عقلها يعمل
نت هناك مجموعة من الحقائق لا سبيل إلى الفرار منها ،
ا الزائر يزعم أنه قريبها . وكان معنى هذا ، أنه يعلم
يها : أن تصرف السيد « زيللى » هذا ينبىء عن معرفة
وأنه قد جاء للتهديد وليس للمساعدة ... أما الحقيقة
أنها ليست فى مركز يسمح لها بالمساومة أو المناجزة ،
هما كان الأمر ، أن تسوس هذا الرجل الذى يزعم أنه

• • •

دا من ارتداء رداء من الحرير الصينى الفاخر ،
تها وراحت تهبط الدرج الرخامى إلى الطابق
ناك ، وجدت أمها رجلا سميناً أحمر الوجه أزرق العينين
يرتدى بذلة بيضاء ورباط عنق محشور فى ياقة القميص
ن الزائر جالسا فوق مقعد وقد مدد ساقيه على مقعد

آخر وهو يحرك قبعته امام وجهه استجلابا للهواء ...
يتفصد بالعرق .

عندما وصلت إليه باندا لم يكلف نفسه عناء النهوض
يرميها بنظرات متفحصة ... ما أن وصلت إلى الصالون
فيه حتى سألته فى جفاء :

« ماذا تريد ؟! »

« إن اسمى زيللى !! »

دق قلبها بعنف حتى ظنت أنه سوف ينفجر ... إ
الحديث يشى بأنه يعرف كل شىء ، بل يشى بتهديد
مستتر ... وبقدر ما أسعفها ذكاؤها فى تلك اللحظة ف

« وهل يعنى هذا شيئاً بالنسبة لى ؟! »

شملها الرجل بنظرة مستهينة ساخرة وهو يغمغم :

« أنه يعنى أننا أقارب ! »

سألته ببرود حاولت به أن تغطى خوفاً كان يغلى ف

« وماذا إذا كنا كذلك ؟! »

هنا ، نهض زيللى من مقعده متقدماً نحوها :

« ألا ترين أن هذا يعنى شيئاً ؟! »

« ماذا تريد بالضبط ؟! »

ت أمك عمتى ؟! »

؟! »

ذقنها بطرف أصبعه مغمغماً :

هارى يا باندا ! »

ف باندا ، ها هو الجرح يغفرناه متدفقاً بالألم والخوف
ماذا سوف يحدث وقد انكشف سرها ؟! ... ولابد أن
شحب كثيراً فلقد ابتسم الرجل ابتسامة من أدرك أنه
رف تماماً ، وعاد يقول :

عب أن ترحبى بواحد من أقاربك ؟! »

ف باندا فى تلك اللحظة كم كانت تنوء بسرها هذا طوال
الماضية ، أشارت إلى مقعد آخر وهى تقول :

ل ! »

وسارت إلى حيث راحت تعد له كأساً من شراب الأرز ،
أس إليه وقد وضعت فيه مع الشراب بعضاً من قطع الثلج
وراح ينظر إليه كأنما هو يغازله ... جلست على مقعد
ن يقول :

« فى مثل تلك الأمور يصبح الوصول إلى الهدف من
صر الطرق هو أسلم السبل ! »

« لكى نحسم كل شيء أحب أن أقول لك ب
« الكمبتاى » – جهاز المخابرات اليابانى – يع
كل شيء !! »

« كل شيء ؟! » .

« يعرفون على سبيل المثال أن أمك هى ماحريتا جروت
وأنها هى بعينها الجاسوسة الشهيرة ماتا هارى ، وأنها ق
لحساب الألمان فى فرنسا أثناء الحرب الماضية ! »

توقف الرجل عن الحديث وكان يلهث ، رشف من ش
رشفة وكان قلبها يدق بعنف ورأسها تدور بينما كان ز
كأسه ويرشف منه رشفات قليلة وكأنما هو يترك لها ال
تستوعب كل هذا الذى قاله ... ولكن : ماذا يريد ؟!

وكأنما كان يقرأ أفكارها قال :

« إنهم هم الذين أرسلونى إليك ! »

« وماذا يريدون منى ؟! »

« أن تعملى لحسابهم ! »

لم تفهم باندا ما الذى كان يعنيه بجملته ... حقيق
أو فلتقل أنها لم تدرك معنى الجملة إدراكاً كافياً ... ازداد
وهى تهتف :

« ما الذى تعنيه بهذا ؟! » .

« أن تكونى عميلة لهم فى جهاز مخابراتهم ! » .

لا أحب اليابانيين ! »

!! »

مل لحسابهم ! »

ب مضطرة ! »

نسى شيئاً هاماً ! »

؟! »

سليلة دماء مختلطة ! »

ذى يعنيه هذا ؟! »

مع عن المرسوم الذى أصدره الحاكم العسكرى ؟! »

ه بكأسه الفارغ كمن يطلب كأساً آخر وهو يقول :

يك ، أن الحاكم العسكرى رجل معتوه ! » .

كى تعد له كأساً آخر دون أن تقطع حبل الحوار ،

المرسوم واضح تمام الوضوح ! »

ف تكونين يا باندا أول من يخرق هذا المرسوم ! »

لحديث فأردف وهو يجول بعينيه فى المكان كأنما

عد ! » .

عادت إليه بالكأس فراح يغازله بالنظرات حينا من
رشف منه رشفة قال بعدها :

« سوف أعطيك – باذن خاص – مهلة لأربع وعـ
كى تفكرى فى الأمر ! » .

ألقى بما تبقى فى الكأس فى جوفه ثم أعاده إلى المائدة
يقول :

« ولو أنى أرى أن لا شيء ، يستحق التفكير ! »

• • •

نهضت باندا لنهوضه لكنها لم تتفوه بحرف . سار
مغمغماً :

« لقد تجسست أمك لحساب الألمان ، ولست أر
مايضيرك أمام اليابانيين فهم حلفاؤهم ... ولكنى فقط
ما الذى سيكون عليه موقفك بمجرد إعلان أنك ابنة ما
ليس فقط لأنك مخلطة ، ولكن بالنسبة للآخرين ؟! »

كان قد وصل إلى الباب فالتفت نحوها . ثم وضع
رأسه ، وغادر البيت !

وكانت باندا الآن مثل ورقة فى مهب الريح عاتية
تدرى إلى أين تلجأ ، أو ماذا تفعل ... لم تكن قد فهم
تلك اللحظة ، معنى ذلك الحديث الذى سمعته من « ز

إلا أسابيع قليلة حتى عادت الأضواء تتلألأ فى بيت
يد من جديد ... وعاد صالونها يضم صفوة المجتمع ...
انصراف « زيللى » أن الأمر ليس فى حاجة إلى تفكير
أنه ليس أمامها – بأى معنى من المعانى – مجال
ببساطة . كان يكفى أن ترفض أو تعتذر أو تتعلل
كل شىء ، ويلقى بها فى أحد معسكرات الاعتقال ،
يرها بعد ذلك فى يد قدر عابث !

...

...

جلست بعد أيام مع مندوب « الكمبتاى » سألته عما
بالتحديد ... كان الشاب الذى جلس إليها يذوب رقة
لاً فى نفس الوقت ، قال فى هدوء :

نريد إيذاء أحد على الإطلاق ، خاصة إذا ما كان صديقاً
ما فى الأمر أننا فى حالة حرب ، وبدلاً من الضرب
أو هناك تأميناً لجيشنا ... فإن كل ما نبغيه منك إذا
فى أى شخص أو أردت حماية عزيز عليك يتصرف
تبلغينا أن هذا الشخص يستحق الانتباه... ولسوف
بدقة ... فلو ثبت عليه شىء ، فلن يحدث له أكثر
فى أحد معسكرات الاعتقال حتى تنتهى هذه الحرب

« سيدتى ... لسنا وحدنا الذين نفعل هذا ، وأنت
من غيرك ، ما الذى كان يفعله الهولنديون بأبناء جلد
بدون حرب ! »

و ... و ...

ولم تكن باندا ماكلويد فى ذلك الوقت تعرف ، أن
الغل ، ليس سوى شركاً ينصب لها كى تدفع بالكثيري
أحبتهم ورغبت فى حمايتهم إلى مصير غامض ورهيب
أخرى ، هكذا قالت فيما بعد ، لم يكن أمامها س
والرضوخ ... إن نظرة واحدة تديرها فيما كان يجرى
تلك الأيام ، كانت كفيلة لبث الرعب فى قلبها !

فى تلك الأيام الغريبة ، كان الجوع يعصف بأهالى با
الأرض الأصليين ، وكلما احتدمت الحرب كلما شحت
أصبح من المتعذر على المواطن الأندونيسى أن يجد قو
ويوماً بعد يوم كانت قبضة اليابانيين تشتد على كل ش
باندا تسمع من القصص ما كان يبعث بالرعب إلى قلبها
أنها كانت تعيش حياة ناعمة لا حرمان فيها ولا حاجة

عادت الأضواء إذن إلى الصالون الذى أصبح
لا بأس به من الجنرالات اليابانيون ورجال الصناعة وم
وزوجاتهم وعدد لا بأس به من الدبلوماسيين ...

لال بالغة القسوة ، واقتصاد حرب يكاد أن يزهق

الأحاديث والمناقشات فى الصالون الجديد ، لم تعد كان الحال فى الصالون الأول – إلى الفن والأدب ... السياسة هى العنصر الغالب فى المناقشات ، خاصة إذا الضيوف من موظفى وزارة الخارجية الألمانية الذين ما يصلون إلى جاوة عن طريق الغواصات .

الأسرار تتناثر أمام باندا وبين يديها .

يوم كانت الثقة تزداد فيها . خاصة وأنها كانت عادة الحديث فى السياسة ، وتنغمس فى الحديث حول الفن نخبة من الأصدقاء الذين انضموا إلى صالونها وتلاقت مشاربها ..

النخبة الجديدة كان السيد « جالاتى » السويسرى المثقف رجل الأعمال الذى أصبح من أقرب الناس إليها ... كما بروفسور « هايموس » عالم الآثار اليونانى الذى كانت محصورة فى الحفريات التى كان يقوم بها فى أنحاء الجزيرة يخ المنطقة ، والذى كان يمتعها بالحديث عن اكتشافاته أو التى يأمل فى الوصول إليها ... كما كان هناك القنصل لندكويست » الذى اعترف لها ذات مساء وقد توطدت أنه يستغل قنصليته فى إرسال معلومات عن الجيش اليابانى

إلى البريطانيين ... ثم صديقها الفنزويلى خفيف الظل الضحك « هيرماتو وولف » ... كما كان هناك قائد حر السرية الأندونيسية التى عرفت باسم « ياركنج » والذ صالونها ستاراً يتظاهر فيه بالولاء لليابانيين فى حين أن منتشرين فى المستنقعات بطول شواطىء جاوه .

وقبل كل هؤلاء ، كان هناك الكولونيل عبدالله ، الوطنى الأندونيسى الذى أنشأه اليابانيون للحفاظ الداخلى ... والذى بالرغم من موقفه هذا الموالى لليابانيين مكانه خاصة فى قلب باندا التى وقعت – مرة منذ السيد فان ديرين – فى غرامه وأحبته وذاقت فى حبه أ امرأة !

كان الكولونيل عبدالله شاباً وسيماً فارع الطول جذاب اشتهر فى باتافيا بأنه يسحر الفتيات ... وبالرغم من أن تكبره باثنتى عشر سنة ، إلا أنه ، هو الآخر ، وقع فى

ولقد ترددت باندا طويلاً قبل أن تعلن هذا الحب ... علاقتها مع زوجها الراحل ، لا تزال تنشر عطرها فيما ح علاقة مشوبة بالكثير من الود والاحترام ، ولقد وجد تعويضاً عن الأب المجهول ! ... أما الآن ، وقد تخطت عمرها ، فلم تكن فى حاجة إلى أب ، بقدر ما كانت العاطفة !

ولا أحد يدرى كم طال تردد باندا أمام عبدالله الذى

كالبركان ... وكان أكثر ما أسعدها فى عبدالله أنه كان
يفاً ، تدله هو الآخر فى حبها فأعطاها نفسه ، وكادت
إلى ذروة الكمال ، لولا علامة الاستفهام تلك التى
ما بينهما !!

ا كثيراً ما تتساءل :

ن مثل هذا الشاب القوى الثابت الوجدان مع اليابانيين
م فى بلاده ؟!

ت ذات ليلة أخذ فى الحب بمجامعها فسألته ...
بالغ الغموض ، بالغ الإقناع فى نفس الوقت :

وظيفة يا باندا ! ... مجرد وظيفة !! »

يا ، فلقد حرصت باندا ، ووافقها عبدالله ، على أن
سراً لا يعرفه أحد سواهما ، وعلى ذلك ، فهى لم تذكر
ومبتاى ، الذى كان مندوبهم عادة ما يزورها أو يرسل
يمطرها بالأسئلة !

الأمر ، أنها لم تعد ترى قريبها « زيللى » هذا بعد
احيتها لم تهتم بأن تسأل عن رجال الكومبتاى ، وبدا
لا يعرفون عنه شيئاً !!

مع أمها من قبل ، وجدت باندا نفسها تسبح فى
التى كانت تأتيها عن طريق الغواصات مع الأحذية

الإيطالية الفاخرة . وامتلأ بيتها بكل ما تصبو إليه نفسها
فوق كل هذا ، محط أنظار الرجال ذوى المكانة الرفيعة

حتى كانت ليلة من ليالى شهر ديسمبر عام ١٩٤٣
ليلة خطت فيها باندا ، دون إرادة منها ، الخطوات
مستقبل سوف تقودها أيامه ، إلى الجحيم نفسه ...
مروعة !!



٣

من العسير أن نقول أن باندا م
خدعت بوعود الكومبتاى ... لكنه
أن نقول أنها أرادت أن تصدق و
خاصة ، وأن أكثر الذين تدلهوا فى حب
الأخيرة ، كان هو القنصل اليابانى فى ا
السيد « ياكيماتو » !

ليس هذا فقط ، فلقد كانت غالبية الرجال الذين طلبت من
الاهتمام بأمرهم ، من ذوى المكانة الخاصة والسمعة الطيبة
تعرف عنهم بعدهم تماماً عن لعبة السياسة ، ولم يخطر ببا
أو من قريب ، أن تكون لهم علاقة ما ، أية علاقة ، بعالم ا

كما كان من المنطقى أيضاً . وقد وجدت نفسها محاطة ب
الرجال الأوربيون والآسيويون ذوى المكانة والقدرات
والذين كانوا يتسابقون ، كل بأسلوبه ، للفوز بقلبها ... أ
اليابانيين لابد وأن يحترموا كلمتهم معها !

أكثر من كانت تخاف عليه هو الكولونيل عبدا
الأندونيسى الذى فتنها حباً وشجاعة وغموضاً فى نفس

مواطن أندونيسى مهما كانت مكانته ، وحتى ولو
رس الوطنى الموالى للسلطة اليابانية فى الجزيرة ...
عقاب كان من الممكن أن ينزل بالكولونيل ، هو
ه بالانتقال من جاوه إلى أية جزيرة أخرى نائية ، من
تكون أندونيسياً !

فلقد كان السيد ياكيماتو ، رغم قامته القصيرة ،
لتأثير ... كما أنه كان فى نفس الوقت وسيماً هادىء
التصرفات ...

لقد دهشت باندا فى تلك الليلة المروعة من ليالى
م ١٩٤٣ ، عندما انصرف جميع الضيوف ، وبقى
معها !

لأنها كانت المرة الأولى التى يفعل فيها سعادة القنصل

لأنها أدركت أن السيدياكيماتو قد بقى خصيصاً كى
تريد ، بالقطع ، أن تعرفه أو تسمعه .. أو غزلا
نه !

جلسة القنصل بعد انصراف الضيوف ، أمرت باندا
فوا ، فانصرفوا ... وراحت ، وقد طال صمت

وصلوا حديثاً إلى جاوة فى إحدى الغواصات الألماني
تذكرت ، وهى جالسة مع ياكيماتو ، أحدهم ...
بالصلف والعجرفة ، فابتسمت قائلة :

« أن الألمان يشعرون دائماً أنهم فوق الآخرين !

وجاءها صوت القنصل خافتاً مؤدباً مهذباً :

« إن ما تقوليه صحيح تماماً يا سيدتى ! »

وبينما هى تبحث فى ذهنها عن شىء تقوله ، كان
زافراً :

**« ومن العسير أن يجلس الإنسان معهم دون الحديث
العالم ! »**

كانت – على كل الأحوال – قد أصبحت مدربة
فغمغمت :

« لكنهم – أبداً – لا يصرحون بما فى نفوسهم ! »

**« وهذا صحيح أيضاً ... ولقد سمعت هذا الرأى
جالاتى شخصياً ! »**

وتذكرت جالاتى !

تذكرت باندا أن صديقها السويسرى هذا قد اختفى

إلى لم أره منذ أسبوعين ! »

قنصل ابتسامة خفق لها قلب باندا فأردفت :

ت الاتصال به فى البيت وفى شركته الصناعية ،
يه ! »

مة معلقة على وجه القنصل فأدركت باندا أن فى
ت وقد اعتراها القلق :

عنه شيئاً يا سيدى ؟! »

له بالسفر على السفينة تانجيرانج ! »
فى لوعة :

غرقتم تانجيرانج فى عرض المحيط ! »

لثوانى كانت باندا فيها ترتجف لاهثة الأنفاس ،
دها :

الأحوال ، فقد كان لديه الوقت الكافى قبل
ف بمكان محطته اللاسلكية السرية التى كان يتصل
طانيين ! »

شحوباً عظيماً وغامت عيناها وهى تحملق فى
... كانت هى التى أبلغت عن جالاتى كنوع من

• • •

وقع الخبر على باندا ماكلويد وقوع الصاعقة ، هى لم تكن
نفسها ولم تكن غافلة عما اقترفته ... فهى تعرف الآن
فقط ، أن كل هؤلاء الذين حذرت اليابانيين منهم قد لقوا حتف
وكان من الصعب عليها أن تتصور ذلك ... من الصعب
ترسل أصدقائها إلى الموت بكلمة منها !

لاحظ السيد ياكيماتو شحوب وجهها فأدرك ما كانت
منه ، تململ فى جلسته وتمتم معتذراً إن كان قد سبب لها بعض
كان حديثه مهذباً كالعادة ، لكنها أدركت أن حروف كلماته
كوخز السيوف اليابانية الشهيرة ... حاولت أن تسترد
فاعتذرت بقولها أن حفلات الاستقبال أصبحت تصيبها
شديد ... ابتسم متململاً فى مكانه وهو يقول :

« إذن ، فعل أن أتركك حتى تنالين قسطاً من الراحة

أدركت على الفور أنها وقعت فى خطأ فادح ... إن حز
جالاتى يعنى أنها متعاطفة معه . وإذا كانوا قد اكتشفوا محطة ا
التى كان يتصل بواسطتها بالبريطانيين ، فهل يجب أن تحز
جاسوس كان ينقل أخبارهم وأسرارهم إلى الأعداء ؟!

حاولت ملاطفة فابتسمت مجاملة :

قالته ، نهضت والرعب يجتاحها احتياجاً ، كى تعد له
كى اليابانى الذى يفضلـه ... عادت إليـه بالكـأس وكان فى
يديه صندوقاً متوسط الحجم غلف بالمخمل الأسود ...
ه فقدم لها الصندوق متمتماً :

ية متواضعة أردت أن أقدمها لك على انفراد ! »

ت لم بقى القنصل إلى ما بعد انصراف الضيوف ، كان
الثمن ، ولم يكن هذا ممكناً أمام الآخرين ... مدت
دوق الفاخر وكانت تقول لنفسها : إن هذا بالتأكيد
... ما أن فتحت الصندوق حتى شهقت إعجاباً
ثمة عقداً من الماس تتلألأ حباته تحت أضواء البهو
ت غير مصدقة :

ى ثروة ! » .

حيح ، لكنها لا تعادل ... ... »

يماتو عن الحديث ، ارتجفت أهدابه وهو يرميها بنظرة
باندا ماكلويد فى تلك اللحظة تتساءل عن بقية جملته
هى ثروة لا تعادل حبه لها ، أم أنها ثروة لا تعادل

إليها من جديد :

دينى برؤيته وهو يزين جيدك ؟! »

جهداً عظيماً كى تتمالك نفسها وتقف أمام المرآة وتضع العق
عنقها فإذا هى تنظر إلى تحفة فنية وثروة حقيقية تتلأ
صدرها ...التفتت إليه وقالت :

« **كيف أشكرك ؟!** »

« **بأن تجعلينى أظن أنك سعيدة بالهدية !** »

كان جوابه صارخاً فى وضوحه ، أحست لوهلة ، أنه
ضحية مثلما هى ضحية !!

« **لقد سعدت بها حقاً !** »

غمغم السيد ياكيماتو موغلاً فى الوضوح أكثر :

« **ونحن على استعداد لأن نقدم لك كل ما يسعدك !**

قال هذا ، ثم راح يدور بعينيه فى المكان مسترسلاً :

« **وعلى كل** ... فإن لديك منزل جميل ، وقدر ك
المال ... ونحن حريصون على أن نرسل لك كل ما تحتا
مؤن ... فوق أننا لا ننسى أصدقاءنا أبداً !!! »

قال هذا وهو ينحنى احتراماً :

« **والآن ... هل تأذنين لى بالانصراف ؟!** »

• • •

لا تدرى باندا ماكلويد لم أحست فى كلمات السيد

... لم يكن مجدى
حزنها وبكائها . كان هناك الكثيرون الذى اختفوا
هم غابوا لبضعة أسابيع أو بضعة أشهر فى مهام هنا
رة الشاسعة أو فى واحدة من آلاف الجزر الأندونيسية
ط ... ولابد لها الآن أن تواجه كل شيء بوضوح ،
ران ... لقد خانت أصدقاءها ، وكل الذين وضعوا
وها على أسرارهم ... فهل تستحق من كانت مثلها

حت تصعد الدرج الرخامى إلى الطابق العلوى ...
ة نومها وكانت يداها تعملان فى قفل العقد حتى
نه يسقط من يدها فوق الأرض ووطأته بقدمها
لاب ملابسها ... فتحت دلفة معينة فيه وامتدت يدها
جة صغيرة كانت تحوى عدداً لا بأس به من الحبوب
كان رأيها – فى تلك الدقائق التى انقضت منذ خرج
، وحتى وصلت إلى غرفتها – وقد استقر على أن

ماكلويد فيما بعد ، أنها عندما تناولت الأقراص
تريد الانتقام من نفسها ، فلقد رأت أنها لم تعد

والذى تجرى دماؤه فى عروقها ... لا يكاد يجد قوت يوم

• • •

بالرغم من أن عدد الأقراص التى تناولتها باندا فى تلك ا
كافياً لأن يقتل ربع دستة من الرجال ، إلا أنها لم تمت ..
يشعر أحد بأنها أقدمت على الانتحار ... كل ما حدث أ
نائمة لساعات لم تدر كم طالت بها ، وعندما فتحت عينيها
الأولى ، أدركت أن محاولتها قد فشلت ، وأنها لم تمت بعد ..
ذلك الحريق الذى كان مشتعلاً فى حلقها ورغبتها الشديدة فى
نهضت من فراشها لكن ساقاها لم تقويا على حملها ... جذ
الجرس المدلى إلى جوار الفراش ، فجاءتها وصيفتها مهرولة و
قد استبد بها لطول الساعات التى ظلت سيدتها نائمة فيها
حاولت تلك السيدة الأندونيسية طيلة النهار أن توقظ سي
جدوى ... ولما كانت تعلم أنها أقامت بالأمس حفل استقبا
ظنت أنها لم تأو إلى فراشها إلا فى الصباح !

كانت باندا شاحبة شحوباً عظيماً ، رفعت يدها فى
تسكت السيدة التى راحت ثرثر مبدية قلقلها ومعبرة عن خ
سيدتها ، لكن باندا طلبت كوباً من الماء !

رغم الضعف والوهن وعدم القدرة على مغادرة الفراش
عقل باندا كان يعمل بعنف ونشاط ... استرجعت كل

ل أن تغفو عيناها للمرة الثانية ، كانت قد اتخذت

• • •

ل الأيام التالية كانت باندا تعتذر عن استقبال أى
ين أرادوا رؤيتها ، أعلنت وصيفتها أن سيدتها
صريعة الانفلونزا ... ظلت ملازمة الفراش
لم يكف فيها ذهنها عن العمل ... كانت أول حقيقة
أن أية محاولة أخرى للانتحار عبث ، ففوق أنها
رمه الله ، ألا أنها أيضاً جبن وهروب من مواجهة
الذى كان عليها الآن أن تواجهه ، وتصارعه ،
عليه !

رى كانت فكرة الانتقام تضرب بجذورها فى أعماق
تولت عليها تماماً ... استقرت الفكرة وأصبحت هى
ولو كلفتها حياتها نفسها ... تذكرت تلك الأقاويل
سمعها عن رجال حركة المقاومة الأندونيسية التى
اركنج » ، والتى تعرفت على زعيمها الشاب ذات
اختفت معه أخباره !

مسدوداً فهى لم تكن تعرف أحداً غير هؤلاء الذين
الونها وعدد من الأصدقاء والصديقات لا يملكون
شيئاً ... غير أن بصيص من الأمل لاح لها عندما

للبابانيين ؟!

وعلى كل ... فلقد كان عبدالله ، هو أول من سمحت ل
بعد اعتكافها الذى طال لأسبوع كامل ... منذ أن ألتقت
اللهفة التى أخذت بمجامعها راحت تسلك فى الحديث م
ملتوية ... كانت كلما أحست أنها تقدمت نحو هدفها
تراجعت بعدها خطوات ... يوماً بعد يوم كانت الأحا
عبدالله تسير فى دائرة مفرغة ... تقترب من الهدف ثم تتراجع
ومن يدريها أن عبدالله لن يشى بها كما وشت هى بال
الأصدقاء ... من يدريها ، لو كان لدى عبدالله الاستعداد ،
ثقته خاصة وأنه – كمحترف – لابد قد لاحظ اختفاء ه
من باتافيا ؟! ..

حتى كانت ليلة طال الحديث بينهما ، ففاجأها عبدالله ذ
بقوله :

**« لقد مضى حوالى أسبوعين لم تلتق فيها بأحد ولم
أحداً ! »**

« أنت تعرف أنى مريضة ! »

جاءها صوته يحمل الكثير من المعانى وهو يقول :

**« مهما كان مرضك ، عليك أن تعودى إلى الناس حتى
الأسئلة من حولك ؟! »**

المرض ، علينا ألا نيأس ! »

ل عبدالله هذا ، ثم انصرف !

• • •

متأخرة من الليل ، لم تذق باندا ماكلويد فى تلك
اً ... كانت كلمات عبدالله تحمل الكثير من المعانى
ـها ؟! ... أعياها التفكير فتمتمت وهى تأوى إلى

.. فأنا لا أملك سوى الاستجابة لما طلبه ! »

• • •

ة عاد صالونها الأدبى من جديد كى يضم النخبة
ة الحاكمة فى جاوه ... لم يلحظ أحداً من المدعوين
ب الذى استطاعت أن تخفيه بالأصباغ التى أظهرت
ة خيالية لا تمت إلى الواقع بصلة ... كان الكولونيل
ين بطبيعة الحال . كما كان هناك عدد لا بأس به من
لجنرالات ورجال الاقتصاد والصناعة والأدب
ك الليلة ، أدركت باندا أن ثقة اليابانيين فيها قد
ولم يلحظ أحد من المدعوين ذلك التغيير الذى طرأ
ا تعزف عن مناقشة الأدب والفن ، وتنخرط فى
ية والعسكرية التى كانت تدور هنا وهناك ...

رغبته فى الانصراف ... بدا على باندا الضيق فلقد كان وجو
من وطأة ذلك الإحساس الذى كان ينتابها كلما انعقد ص
كانت السهرة لاتزال فى بدايتها . وكان فى وجود عبدالله ع
ولقد أدرك حبيبها ما اعتراها ، فهمس وهو ينحنى مقبلا
رشاقة :

« إن موعدنا غدا بعد الغروب ، ولسوف يكون شيقاً !! »

فى تلك الليلة لم تنم باندا كما ينبغى ، كانت كلمات ع
أكثر وضوحاً فما الذى كان يقصده ؟!

ومهما كان الأمر ، هكذا قالت وخيوط الفجر تصبغ
الأفق ، فإن عليها أن تنتظر حتى غروب الشمس فى اليوم

• • •

عندما أعلن الخادم نبأ قدوم الكولونيل عبدالله ، -
بعنف ...وظل يخفق وهى تهبط الدرج إلى الطابق الأول
ما التقت بحبيبها . كانت مع الشوق فى ذروة القلق ، لم تك
تخسره ، وهى فى الوقت نفسه لا تستطيع أن تتراجع
جلست إلى جواره حتى سألها :

« والآن ... ما الذى تريدينه بالضبط ؟! »

« أنت تعلم إنى لا أريد سواك » .

رادت أن تقول له أنها تحبه ، أنه حبها الوحيد ،
قاطعها فى حسم :
ندا ... ما الذى تريدينه بالضبط ! »
نفسه فى النار ، أو كمحاولة أخرى للانتحار ،

م من اليابانيين !! »



٤

رغم الحياة السهلة التى عا
ماكلويد ، والتى أصبحت – ح
الوقت – فى أجزاء كثيرة منها مترفة .
تعرف طعم السعادة الحقيقية إلا فى ا

غير أن بعض الذين اهتموا بحياة تل
الفاتنة التى رماها قدرها وسط ح
تنفجر بالتنفس وليس باللمس فقط ..
تلك الليلة من ليالى شهر ديسمبر عام
كانت أسعد ليلة فى حياتها على الإطلا

ظنت باندا فى تلك الليلة أن الأقدار تعبد لها طريقاً
المستقبل ... ذلك أنها عندما قالت للكولونيل عبدالله أنها تر
من اليابانيين ، كانت تنتظر أى شىء فى الدنيا . إلا هذا ا
منه !

كانت تنتظر أن ينهرها حبيبها متلفتاً حوله وهو يطلب
تكف عن هذه الأفكار المجنونة ، كما كانت تنتظر أن يأخ
بريبة وشك ، وانتظرت أن يحذرها ، أو أن يطلب منها التأ

أننى عضو فى منظمة سرية لمقاومة الاحتلال

عى :

»

منظمة أخرى بعد أن انكشفت ياركنج وقبض على

... ... »

دالله فرصة لكى تكمل سؤالها ، قاطعها باسماً :

ضباط الحرس الوطنى الذى أسسه اليابانيون ،
دين قوله ؟! »

، كان صراحة عبدالله قاتلة ، فهل ينصب لها حبيبها

كها قد لفت نظره فلقد مال عليها بعد لحظات وهو

غطاء ممتازاً لنشاطى الحقيقى ؟! »

• • •

الله يضع حياته كلها بين يديها ، اجتاحتها السعادة
ون جدوى ... وهى فى النهاية لم تكن تريد أن تقول

قال الكولونيل الأندونيسى الشاب أن المنظمة التى ينت
هدفها ضرب الخطوط الخلفية لليابانيين وإقلاقهم حتى يحي
وصول جيوش الحلفاء ... قال أن رجاله متناثرون فى كل مك
المدن والقرى والمستنقعات والأحراش والغابات والجزر ، لك
شىء هام لابد من الانتباه إليه جيداً ... وهو أن الك
المخابرات اليابانية – سوف تعلم أن آجلاً أو عاجلاً ب
أخبارهم ... ولذلك ، فهم الآن ، والآن بالتحديد ، فى
مساعدتها !

هتفت باندا :

« أنا ؟! »

« نعم أنت يا باندا »

« وكيف أستطيع المساعدة ؟! »

« بأن تعرفى لنا موعد أى هجوم يستعدون له علينا

« أهذا كل ما فى الأمر ؟! »

« بالقطع لا... فهناك الكثير مما يمكن أن تقدم
ولسوف نطلبه يوم نحتاج إليك ! »

• • •

عندما انصرف عبدالله كانت باندا ماكلويد دون شك أس
فى العالم ... لقد ألتقى حبها مع هدفها فهل يمكن أن

ائها ... ثم ، ها هو القدر يجعل من حبيبها وسيلتها وأداتها لهذا
ام ، بل يجعل منها واحدة من أعوانه فى مهمته المقدسة ... مرة
ى ، هل يمكن أن تطلب من الدنيا المزيد ؟!

بر أنها وسط أمواج السعادة التى راحت تتمرغ فيها خطر لها
:

اذا لو أنها ظلت مخدوعة وأبلغت السلطات اليابانية عن عبدالله كما
ب عن الآخرين ؟!

... ماذا لو كان عبدالله يسايرها حتى يتسنى له الإبلاغ عنها ؟!

اطران عكرا صفو السعادة قليلاً . لكنها سرعان ما أبعدتهما عن
، كى تتفرغ طوال الليل لأحلامها الوردية !!

• • •

قضى عام ١٩٤٣ ، ومرت من بعده شهور ، وانتصف عام
١ ، وبدا وكأن هذه الحرب بلا نهاية !

كان العام المنصرم مليئاً بالأحداث ، ثم أصبحت لقاءاتها مع
لله ، مرة أخرى منذ محاولتها الانتحار ، سرية ... فهو لم يعد يأتى
لبيت قبل أن يرحل الخدم ، ويأوى من بقى منهم فى البيت إلى
ه ... كانت الضربات تتلاحق فى أوروبا على جيوش هتلر التى
ت تهاوى ، وأصبحت عصبية الجنرالات فى جاوه مثار الحديث
العامة ... أما فى صالونها الصغير فلقد كان الجنرالات يجدون

بانتظام !

ثمة شيء آخر أضيف إلى باندا فى هذا العام ٤٤
أصبحت أكثر تدريباً وحنكة ... عرفت أساليب وتعلم
واكتشفت أساليب وابتكرت أساليب جديدة ، وكانت
بكل ما تسمعه أو تراه أو يقع تحت يدها ... اكتشفت
يكن شجاعاً فقط ، بل كان بارعاً فى تنظيم حركة المقاوم
الحرس الوطنى – الشرعى !! – حتى أصبحا وكأ
واحداً ... اكتشفت باندا ماكلويد أن له أعوان ينقلون ال
ما افتقروا إلى اللاسلكى – إلى غواصات بريطانية كانت
جوف الليل مع قوارب لصيادين فقراء يخرجون إلى ع
بقواربهم بحثاً عن الرزق ... وكان هؤلاء الصيادين ،
محددة وضعت حسب جداول بالغة التعقيد ، يلتقون ، أ
صيدهم الليلية ، بتلك الغواصات البريطانية ، كى
ما يحملونه من وثائق أو معلومات !

أوصى عبدالله باندا بأن تستمر فى علاقتها مع الكوم
تمدهم ببعض الأخبار الصحيحة أحياناً مما جعل ثقة ال
تتزايد يوماً بعد يوم . لكنها أيضاً دفعتهم إلى التخلى عن بع
المطلوب فى البوح بأسرار غاية فى الأهمية ... عرفت
اليابانيين – بدقة تبعث على الدهشة – المواعيد التى تحد
اليابانية للهجوم على معاقل الثوار فى القرى النائية والجزر

ى فلاحين وصيادين وسكان كانوا يتجمعون حول
متوسلين طالبين بعضاً من الخبز أو الطعام !

ام تمضى ، والأسابيع ، والشهور ... والحرب تحتدم
والمقاومة تزداد حدة ، وجنون اليابانيين يدفعهم إلى
ة أحياناً ، وأحياناً أخرى بحمق كان يكشف ما يعتمل
خوف ..

ليلة !

• • •

ا فى تلك الليلة على موعد مع عبدالله ... وكانت
د انقضت منذ أن رأته لآخر مرة ... لكنها – على أى
ذهب سدى ، فلقد انقضت فى عمل دائب ومشروع
طاعت أن تنجزه وحدها ... ذلك أن باندا علمت
حد الجنرالات بوجود وثيقة بالغة الخطر تحدد أماكن
اليابانى فى أندونيسيا . والأسلحة التى يمتلكونها ،
توزيعها ، وأماكن إخفاءها ، وأنواعها ، ومخازن
تحويه ، والاحتياطى ، وكميته ... ثم ، الخطط التى
هة أى غزو بريطانى لتلك الجزر ، والخطط البديلة
.. باختصار ، كانت الوثيقة التى سعت باندا إلى
لا تقدر بمال ، كانت ضربة عظيمة فى ذلك العالم

الخرائط العسكرية التى توضح أماكن القوات اليابانية !

وحتى الآن ، لابد لنا من الاعتراف ، أن أحداً لم يستط
الوسيلة التى حصلت بها باندا على تلك الوثيقة
الخطر ... قد تكون هناك تخمينات أو حسابات أو ما إلى
لكنه يبدو ، أن الحقيقة الخالصة لهذه العملية الباهرة ، قد ذ
باندا إلى حيث ذهبت باندا ...

ويبدو أن مبعث الحيرة فى الأمر كله . أن حياة باندا
كانت تسير على نفس الوتيرة ... يجتمع فى صالونها قادة
والطيران وأدميرالات قطع الأسطول الراسية فى موانىء أن
والدبلوماسيين والفنانين والأدباء ... هى تقضى نصف نهار
استعداداً للسهرة فى الليل ، وتستعد فى النصف الثانى
الكثيرين الذين كانوا يجدون فى بيتها راحة ودفئاً تعوضهم ع
يعانون منه طيلة يومهم .

غير أن الأيام كانت تمضى دون أن يظهر عب
صالونها ، ودون أن يأتى للقائها فى المساء وبعد ا
الضيوف والخدم ... وكلما مرت الأيام ، كلما
قلق باندا على عبدالله ...فماذالو أن المعلومات التى
إلى الثوار كانت مغلوطة ... ماذا لو أن اليابانيين ك
اكتشفوا أمرها وسربوا إليها تلك المعلومات حتى

واستطاع اليابانيون أن يشنوا على الرجال
هجوماً صاعقاً كى يبيدوهم ، ماذا ... ماذا لو
أصيب عبدالله أو اعتقل أو اكتشف أمره ...

باندا ممزقة الإحساس ، حتى كان صباح ...
هذا الصباح ، جاءتها رسالة وصلت إليها بطريقة بالغة
تزف إليها خبر موعد سوف يزورها فيه عبدالله فى تلك

• • •

الأيام الأخيرة ، كان عبدالله يزورها بعد انصراف الضيوف
... كان يدخل القصر من باب جانبى احتفظ بمفتاحه منذ
.. وما أن يطمئن تماماً إلى خلو المكان ، حتى يتسلل إلى
وزيادة فى الحرص ، كان عليها ألا تغادر غرفة نومها مهما
مهما سمعت من أصوات ، كما أنه لم يكن يستعمل فى زياراته
سابيح تضىء له الطريق ... وفى الظلام ، كان عبدالله يعرف
جيداً إلى غرفة النوم ، حيث تقبع باندا فى الفراش متظاهرة
ولا تضىء سوى مصباحاً صغيراً تظاهرت بالتعود على النوم
ضاء طوال الليل ...

، فى تلك الليلة ، وعندما سمعت دقاً خافتاً على باب الغرفة ،
بها بين ضلوعها ... فى لهفة نهضت كى تفتح الباب ، ما إن

استقر بهما المقام فوق مقعدين وثيرين تتوسطهما مائدة م
المصباح الصغير فوقها ، حتى سألته :

« هل كل شىء على ما يرام ؟! »

ابتسم عبدالله وقد أدرك أن باندا أصبحت ذات هد
« نحن مدينون بسلامتنا ، وربما بأرواحنا ، لك يا بان
أدركت أن هجوم اليابانيون على الثوار قد فشل فى ا
أيضاً فتنفست الصعداء وقفزت من مكانها وقد اطمأنت
أحد الأدراج وأخرجت منه تلك الوثيقة الخطيرة التى
الحصول عليها ... عادت إليه بالأوراق فسألها :

« ما هذا ؟! »

« مفاجأة !! »

وكانت مفاجأة بالفعل !

مفاجأة ألجمت لسان عبدالله حتى مطلع النهار ...
ما بين يديه كنز بكل ما تحمل الكلمة من معنى ... كنز
دراسته صفحة صفحة ... استغرق عبدالله فى القراءة و
يصدق عينيه ، ظلت باندا فى انتظار أن ينتبه إليها حبيبها
عنها أسابيع دون جدوى ، مرت بيدها فوق شعره متس

« ألا تستطيع قراءة الوثيقة فى وقت آخر ؟! »

تم انها من الأهمية بحيث يجب إرسالها إلى « بورنيو » اليوم ، هناك سوف ينقلها قارب من قوارب الصيد إلى عرض ! »

ت من عينيها نظرة عتاب فأردف :

ن موعد لقاء الغواصة البريطانية بعد منتصف ليلة الغد ! »

ذن فلسوف أعد لك فنجاناً من الشاى القوى ! »

من بقى من الخدم فى البيت يغطون فى النوم عندما هبطت المطبخ كى تعد لحبيبها فنجاناً من الشاى القوى الذى يستعين مقاومة النوم ... وحتى مطلع النهار كان الكولونيل عبدالله قد ما فى الوثيقة والخرائط المرفقة ... طواها بعناية ودسها فى وكان لابد له من الرحيل فلقد بدأ ضوء النهار يتسلل من الستائر المسدلة رغم حرارة الجو ، كان لابد له من الانصراف يشعر به ولا يراه أحد وهو يتسلل من البيت ... ضمها إلى فى حنان وهو يهمس :

كيف أشكرك يا باندا ! »

متى أراك ثانية ؟! »

ت بملامح عبدالله سحابات من حزن دفين :

بلا استثناء ... وقد لا استطيع ان اراك قبل وربما شهور ! »

« عبدالله ... إنى أموت فى كل ليلة ألف مرة قلقاً ع

«سوف تصلك رسائلى كلما تيسر هذا ، ولكن ... القلق واستمرى فى العمل على أن تكونى أكثر حرص القادمة ... إن النصر يقترب يا باندا ! »

قال هذا ، ثم انفلت من بين ذراعيها وانصرف دون وراءه !

● ● ●

مر عام ١٩٤٤ كى تضيف باندا إلى انتصاراتها أخرى ، ولكى تضيف الأيام إلى باندا جرأة أكبر ، و وخبرة أعظم ... وثبات دفعها إلى المشاركة الفعلية اليابانيين ...

وجاء عام ١٩٤٥ يحمل نذر العاصفة التى كان مقدراً على أندونيسيا ... وعندما هبط الجنود البريطانيون الأندونيسية . جاء نزولهم فى أضعف ثلاث نقاط فى اليابانيين واستحكماتهم التى ظلوا سنوات يشيدونها ... هذا الهجوم الساحق الذى شنه البريطانيون أنهم كانوا على

. يرجع أصلاً إلى باندا ماكلويد !

. ...

. ...

ت المعارك ، بالرغم من هذا طاحنة ... فى الأحراش
ت ، على سواحل الجزر الصخرية وفى القرى وشوارع
... وكان عبدالله قد استطاع أن يضع تنظيماً للحرس الوطنى
جال المقاومة ، جعل منهما قوة ضاربة ومؤثرة تماماً ... وما أن
اللحظة المناسبة . حتى راحوا يكيلون الضربات إلى مؤخرة
اليابانى الذى راح يتشتت هنا وهناك !

نت الأنباء تصل إلى باندا يوماً بيوم ، كانت تصلها عن طريق
عبدالله فى باتافيا أحياناً ، وعن طريق من تبقى من اليابانيين فى
أحياناً أخرى ... اجتاحتها السعادة اجتياحاً ، ها هى رغبتها فى
م تتحقق وعلى أكمل وجه ، وها هو تكفيرها عن ذنوبها التى
تها فى حق أصدقاء وثقوا فيها يضيف إليها راحة نفسية عميقة ...
فى نفس الوقت ، كانت تتمزق قلقا على حبيبها الذى اختفت
تماماً لشهور طالت أكثر مما ينبغى ... حتى إذا كان
حار ورطب ... جاءتها وصيفتها كى تزف إليها نبأ وجود
ونيل فى بهو البيت !!

• • •

« **نعم يا سيدتى !** »

« **ولماذا لم يصعد ... لماذا يظل فى البهو !** »

طافت بملامح السيدة الأندونيسية سحابة من حزن
تقول :

« **لقد طلبت منه ذلك ، أخبرته أن هذا سوف يس**
رفض ! »

ابتسمت باندا وهى تبدل ملابسها بسرعة ... ها
بعينه . المسلم الذى يحافظ على احترام الإنسان رغم
الزوج وهو يعلم ذلك . اندفعت تغادر الغرفة وتخطف د
إلى حيث كان عبدالله هناك ، فى منتطف البهو يقف شا
عينيه نظرات حيرى ... جمدت باندا وهى تحملق فيه و
ضربات قلبها ، واجتاحت صدرها أعاصير من الحب

كان عبدالله يقف أمامها وقد بتر ذراعه الأيسر ،
الأيمن إلى عنقه وقد اختفى خلف الضمادات ... بداله
العمر تقدم به عشرات السنين ... كان شاحباً ، ضع
غائر العينين ، جاف الشفتين ، كابى النظرات ... حا
تتحدث فلم تستطع ، وكان هو الذى تحدث أولاً ،

« **ألا زلت تريديننى ؟!** »

وأنا على هذه الصورة ؟! »

فجر الدمع منهمراً من عينيها كالشلال . تقدمت منه فى حرص
ناف على قارورة هشة من الكسر ، انداح صوتها وهى تتقدم

الآن وقد خرج اليابانيون من أندونيسيا ... لن أتركك
.. أبداً ! »

هل أنت واثقة ؟! »

أكثر من أى وقت مضى ! »

ت فى عينيه نظرات أمل اجتذبتها إلى صدره فارتمت فوقه وهى
:

كم أحبك ! »

يكن عبدالله يستطيع الآن أن يضمها إليه كما كان يفعل فى
ى ... افتقدت ذراعيه عندما جاءها صوته وهو يقول :

ولكن هناك حقيقة لابد لك أن تعلميها جيداً يا عزيزتى ! »

عت إليه رأسها وقلبها يرتجف :

ما هى ؟! »

إن الحرب لم تنته بعد ! »

« ولسوف يعود الهولنديون فى القريب ! »

أدركت باندا ما كان يجول فى ذهن صاحبها الذى

« إننا لم نقاوم اليابانيين كى نمهد الطريق لعودة ا

وصمتت باندا ...

كان كلام عبدالله حقيقياً ... فهو القدر إذن ، قد
معاً .. عاد عبدالله إلى الحديث :

« لسوف يكون الكفاح هذه المرة أكثر ضراوة

« أعرف !! »

قالت هذا وذكريات ما قبل الحرب تنبثق من الماضى
عذاب .

« ولسوف يحمّلنا هذا المزيد من الأعباء ! »

أدركت أن وراء حديثه ما وراءه ، فسألته :

« كيف ؟! »

« بعد أسابيع ، أو ربما بعد شهور... سوف يصبح
تعلنى كراهيتك لنا ! »

هتفت غير مصدقة :

« ما هذا الذى تقول ، هل نسيت أنى أندونسية

س الحروف والمعانى .. قال :

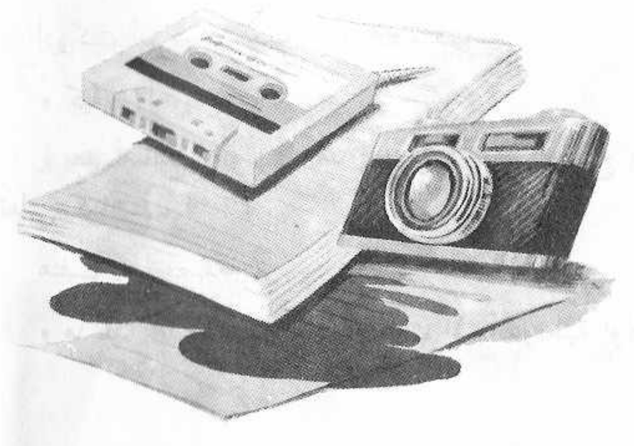
« ندما يأتى الهولنديون ، وعندما تبدأ معركة
ر ، فلسوف نكون فى حاجة إلى معلومات عن
رين ... ولن تستطيعين هذا إلا بوقوفك ،
، فى المعسكر المعادى لنا ! »

مت باندا ...

هو التاريخ الشديد القرب يعيد نفسه ...

ت أن قدرها قد حتم عليها أن تستمر فى لعب نفس الدور ،
ليها فقط ، أن تغير ملابس التمثيل بما يتلاءم مع دورها
...

نت تعلم الآن ، أنها ، فى واقع الأمر ، مؤهلة لذلك !!



٥

لا يستطيع المرء هنا إلا يتوقف
دهشة عن مصير هذه السيدة التى رس
طريقاً لا فرار منه ولا فكاك ...
إلا أن يتوقف متأملاً أحداث هذه
التى أبت إلا أن تحرمها من الحب يو
أصبحت قاب قوسين أو أدنى من
تمنتها ...

يبدو الأمر غريباً كل الغرابة ، بل – استغفر الله الع
قاسياً قسوة تبعث بالقشعريرة إلى الجسد ... إن قدر بان
ببتر ذراع حبيبها المناضل الثورى ، بل وضعهما معاً فى
الصعب الاختيار فيه ،وضعهما فى موقف كان عليهما أن يس
طريقة ... وبالرغم من إصابة الكولونيل عبدالله ، فإن
لا يوقفهم عن المسيرة ذراع مبتور ... وإذا كان الأمر ك
كانت باندا تستطيع أن ترفض عرضه الخاص بالت
المستعمرين الهولنديين لحساب المقاومة الأندونيسية .

بالقطع لا ...

... ورغم نجاحها الباهر ، إلا أنها
قلبها منذ وفاة زوجها وانغمست فى دراسة الفنون
ب ... ورغم هذا فقد فعلت ، غاصت فى المستنقع تحت ضغط
ب ، وربما تحت ضغط الخوف والتهديد بتاريخ أمها ، أو الرهبة
ئها فى أحد معسكرات الاعتقال اليابانية .

ن ... وقد اكتسبت خلال عامين أو ثلاثة خبرة لا بأس
تكن تستطيع أن تتراجع أمام نداء الوطن الذى ولدت فيه
بين ربوعه ، لم تكن تستطيع أن تخذل عبدالله فهو لم يطلب
ر من أن تلعب نفس الدور ، نفس الدور من أجل هدف.
. ذلك أنها بالرغم من أمها الهولندية الشهيرة ، إلا أنها كانت
سها أندونيسية لحماً ودماً ... وعلى كل ، فلقد اتخذت مع
راراً بالإختفاء عن المجتمع لمدة أسبوع كامل لا تستقبل فيه
كان اليابانيون قد غادروا الجزر الأندونيسية مدحورين ،
ولنديون ، بعد الغزو البريطانى للجزر ، قد بدأوا يحتلون
القديمة ، كما كان الوطنيون الأندونيسيون يستعدون لمعركة
أدركوا من قبل أن تبدأ ، أنها سوف تكون مريرة .

ى أسبوع ، وعاد صالون باندا يفتح أبوابه للمستعمرين
وخلال هذا الأسبوع ، كانت باندا وعبدالله قد تحولا ، فى
البريطانية بالتحذيد إلى بطلين نادرين... فلقد أبت الصحافة
والأوروبية بوجه خاص ، إلا أن تكشف عن الدور الذى

باندا فى الأيام الطبيعية التالية ...
الاحتلال اليابانى ... وتوافد المسئولون الهولنديون
يخطبون ودها ويبغون صداقتها ، وكان أعظم ما أعج
ذلك الاشمئزاز الذى تظاهرت به نحوالأندونيسيين أنفس
اتفقت مع عبدالله ... وهكذا ، ما أن انقضت أسابي
كانت الطبقة الأرستقراطية الهولندية فى باتافيا تخط
ويسعى أفرادها بكل الوسائل ، كى يحصل الواحد
لحضور الصالون .

ولم تكن باندا تعرف بطبيعة الحال ، ان الأمور ع
الأرضية قد تغيرت كثيراً ، وأن حرباً ضروس قد وض
كى تنشب حرب جديدة بين معسكرين عملاقين
الشرق والمعسكر الغربى ... وأن الصراع بين هذين
محموماً من اللحظات الأولى لوقف إطلاق النار وانت

وكان من بين الذين جاءوا إلى صالون باندا م
يدعى « بلاتير » ... كان بلاتير هذا موظفاً عادياً
العام الهولندى ... ولم يكن من هذا النوع الذى يش
الآخرين ، بل العكس ... فلقد أحست باندا ، منذ
دخل فيها بيتها ، إنه رجل غامض ... وكثيراً ما
بعينين غريبتين نفاذتين ... وكان أمراً طبيعياً أن
عبدالله بأمر هذا الضيف الغريب ، فما كان

!؟

ن مصادرها الخاصة عرفت باندا بدورها أن بلاتير يعمل ب الهولنديين ، وأنه يمدهم بأخبار المقاومة الأندونيسية التى تشتد يوماً بعد يوم ، لكن الغريب فى الأمر ، أنها اكتشفت فى الوقت أن تلك المعلومات التى يمد بها بلاتير مكتب الحاكم ى العام عن المقاومة الأندونيسية ، كانت فى الغالب معلومات !!

ن يكون هذا الرجل ؟!

ى السؤال بلا جواب حتى جاءها عبدالله بالنبأ الحقيقى ، ذلك دالله اكتشف عن طريق رجاله أن بلاتير يعمل لحساب الثورة ة بقيادة ماوتسى تونج !!!

• • •

ى كانت ليلة ...

رف فيها المدعوون جميعاً ، وطلبت باندا من بلاتير أن ... فانتظر !

أن انصرف الجميع ، واجه عبدالله بلاتير قائلاً :

ستمع إلىّ جيداً يا سيد بلاتير .. إننا نعلم يقيناً أنك تعمل

فى برود شديد ، قال بلاتير :

« ثم ماذا ؟! »

« إذا كنت مؤمناً حقاً بقضيتنا ، فعليك أن تساعدنا تنال أجراً عن مساعداتك ! »

قال بلاتير :

« أنت تظن أنى لا أعلم شيئاً عن صديقتك ؟! »

واجهه عبدالله بنظرة قاسية وهو يقول :

« فلتذهب إذن إلى الجحيم ! »

فى نغمة تهديد سأله بلاتير :

« أهذا كل ما فى الأمر ؟! »

« إن كنت تريد التعاون معنا ، فلسوف تحصل على هذا ! »

ولابد أنه كان قد اتضح لبلاتير أن الطريق أمامه مس أن لهجته تغيرت فجأة وهو يقول :

« ما الذى تريده منى إذن ؟! »

« كل ما تستطيع الحصول عليه من أسرار عس بهجوم الهولنديون علينا ! »

ندونيسية لقوات الاحتلال الهولندى تشتد يوماً بعد يوم ،
ولايات المتحدة الأندونيسية ... وبدأ الهولنديون حركة
رلت الغابات والأحراش والجزر إلى جحيم ... وكان بلاتير
ى الحرص ، على إمداد عبدالله ، عن طريق باندا ، بكل
ب يده من معلومات فى مكتب الحاكم الهولندى فى مقابل
ى تدفعه له باندا أولاً بأول ، كما كانت هى الأخرى ، تمد
هائل من المعلومات التى كانت تستقيها من أصدقائها من
كمة ... وكلما اشتد أوار لمعركة ، كلما ازداد قلق
لك أن عبدالله كان قد أعلن موقفه صراحة ، ولم يعد
اتافيا أمراً مقبولاً ، وانقضت الأسابيع والشهور ، كانت
كل ما يقع تحت يدها وكل ما يمدها به بلاتير من
ولكن ... لم يكن هناك خبراً واحداً عنه !!

• • •

١٩٤٨ يزحف نحو نهايته ، وكان قلق باندا قد وصل إلى
يكن لديها أى خبر عن عبدالله لعدة أشهر ، وكانت
عن عنف الصراع بين الوطنيين والمستعمرين ...

صباح ...

دم يعلن عن وجود كولونيل أمريكى يطلب لقاءها !

« ما الذى تعنيه بالله عليك ؟! »

« إنه يرتدى ملابس مدنية ! »

بعد دقائق كانت باندا تجلس أمام رجل فارع الطول
صلب الملامح متسائلة عن سبب زيارته الغير متوقع
الكولونيل المجهول الذى لم يقدم لها نفسه بالاسم :

« أن لدى أخباراً غير سارة يا سيدتى ! »

هتفت :

« عبدالله »

« لقد سقط فى المعركة ولك أن تفخرى به ! »

مادت الأرض تحت قدمى باندا ، ترنحت فى جلستها
الرجل مساعداً وهو يقول :

**« ليس لك أن تحزنى على موته يا سيدتى ، لقد حارب
مبادىء سامية ! »**

جاء صوتها من بعيد وكأنها تحدث شبحاً :

« لكنه ذهب ! »

« وعليك أن تكملى الرسالة !!! »

« رسالة ؟! »

لبداية مغزى حديث الرجل ، وإن كان المعنى ، بمرور الثوانى ،
يتسلل إلى عقلها ثانية بعد أخرى ... ساد الصمت لثوان قال
لونيل الأمريكى بعدها :

« إن أمامك هدف لابد من تحقيقه ! »

« هدف ؟! »

« إننا فى حاجة إليك ! »

صاحت باندا وهى ممزقة الصوت :

« هل تريد منى أن أؤيد الحكم الهولندى ؟! »

« سيدتى ... ... »

اطعته ناهضة :

« ليس من حقك أن تطلب منى الاشتراك فى مثل هذا العار ! »

هض واقفاً وقد تحولت نغمة صوته وهو يقول :

« هل تعرفين شخصاً اسمه زيللى ؟! »

سقطت باندا جالسة على مقعدها وهى تحدج الرجل بنظرات
، مادت بها الأرض مرة أخرى ، إنهم يورثونها بعضهم
ل ، إن زيللى هدا هو الذى قادها إلى التعاون مع اليابانيين ، إنه
و قريب أمها الوقح النظرات والكلمات معاً ، إنه هو الذى فتح

كانت باندا ترجف ، كانت تريد أن تصيح
تسب وتلعن... فها هو رجل غريب يطلب منها الاستم
الاستمرار فيه ... لكنه فى حقيقة الأمر لا يطلب
وما ذكره لزيللى بالذات ، إلا لكى ينبهها إلى أنهاكان
اليابانيين ... أنه ... أنه يهددها بماض لايد لها فيه ...
اللحظة التى زف إليها خبر فقدان الصديق والحبيب وا
تعد تملك سلاحاً بعد ، وعندما وجدت صوتها أخير

« هل تعرف زيللى هذا يا سيدى ؟!! »

أدرك الرجل أن الفرصة قد أتيحت له من جديد
قائلاً :

« إن السيد زيللى يعتقد أنك سيدة قوية ، وأنك
الموقف مهما كانت صعوبته ! »

تاهت نظراتها كما تاهت أفكارها فى خضم هائ
وعاد صوت الرجل يأتيها وكأنه ينبعث من بعد آ

« إنه يرى أن ابنة ماتا هارى جديرة بأمها ! »

ها هو الشبح يطل عليها من جديد ... ها هى
مرة أخرى كى تفرض عليها ما لا تريد ... أدركت
لا سبيل إلى المقاومة ، لقد حاولت فى البداية ولم
الأمل يوم ألتقت بعبدالله وظنت أن زمن السعادة

يكن أمامها سوى أن تسأل فى استسلام :

« ماذا تريد منى ؟! »

ألا تيأسى ، ولا تتوقفى ... أن تستمرى ؟! »

كيف ؟! »

كذا سألته فقال بخبث :

بأن تقفى فى الجانب الصحيح !! »

ا لها العرض بذيئاً ومقززاً ، كانت جملة الرجل تحمل من
ت التهديد ما لا قبل لها به ... لقد وقفت فى الجانب الصحيح
اعدت الحلفاء على غزو أندونيسيا ، وكانت تقف فى الجانب
ح يوم وقفت إلى جوار الوطنيين ضد الهولنديين الذين
وا أندونيسيا ... إذن فلقد كانت كلماته تعنى تلك الأيام التى
فيها زيللى دفعاً إلى هذا الطريق ، كان السلاح الذى يشهره
لكولونيل الأمريكى الفارغ الطول ذا فوهتين ، فوهة من
أن ينطلق منهاتاريخ أمها ، وفوهة ستصيبها فى مقتل لو كشف
عن تعاملها مع اليابانيين .

حكت باندا ماكلويد ضحكة قصيرة تحمل من المرارة والسخريه
ف على أذنى الرجل الجالس أمامها يدخن ، وقد وضع ساقا

« أبداً سيدى الكولونيل ... فقط ، لقد تذكرت أن كا
هو الصحيح بالنسبة لمن يقفون فيه !! »

كأنه لم يسمعها ، أو كأنها لم تقل شيئا ، قال الرجل وكـ
مفروغ منه :

« سوف ندربك بعناية ، ونلقنك أصول اللعبة ! »

إذن ، فسواء وافقت أو لم توافق ، فلقد أتخذ القرار وانتهى

مرة أخرى أدركت باندا أن لا مفر ... وعلى كل الأحـ
يعد هناك ما تأمل فيه أو ما يستحق أن تحافظ عليه ... فا
عبد الله !

مضت لحظات صمت قبل أن تقول :

« فليكن ما يكون ! »

« حسن ... ولسوف نعطيك من الآن اسم
الشمس !! »

• • •

لا يملك الإنسان ، مهما كان انتباهه ، إلا أن يقف ها هنـ
تلك النقطة بالذات من حياة باندا ماكلويد ، وقد اسـ
الحيرة والألم معاً ... فما الذى كانت تستطيعه هذه السيد
هذا الموقف ؟!

ماري ، لم تكن تملك إلا أن توافق ... ولم يكن المال هو السبب ،
م يكن هناك جنس على الإطلاق ، لامن بعيد ولا من قريب ،
ى المبدأ لم يكن دافعا من دوافعها ... إن المتتبع لحياة هذه السيدة
سة ، سوف يهتف فزعا عندما تأتى لحظة لا تجد فيها القدرة على
تمرار ، كانت قد تعبت ، وكان جزاء رفضها هو « الموت » !!
فهل كانت باندا ، فى كل ما فعلت بعد ذلك ... تؤجل ــ
ــ لحظة موتها ... حتى إذا جاءت لحظة الانهيار ، راحت
عجل تلك اللحظة المشئومة ؟!

● ● ●

مضت بعد ذلك اللقاء شهور ثلاث لا يعرف أحد عنها شيئاً ...
ى أن هناك من الأسرار ما لا يمكن البوح به فى كل أجهزة
رات فى العالم مهما كانت درجة الحرية فى الحصول على المعلومات
مدد معينة ... ثلاث أشهر ساقطة تماما من تاريخ باندا ، فلا أحد
ف أين كانت ولا كيف دُربت ، ولا على أى شيء
ت ...؟!.... فقط كل ما عرف عنها ، انها بعد ثلاثة شهور
ت فى الصين الشعبية !!!

● ● ●

الدولية ... ففى تلك السنوات التى أعقبت الحرب العالمي
كانت تتشكل من جديد بقوى جديدة وملامح جديدة ...
ماوتسى تونج قد قاد ثورة شيوعية فى الصين ، فإنه كان
ومحترماً فى حربه ضد اليابانيين الذين احتلوا أرض بلاده ..
هناك الثورة فى فيتنام ، والقلاقل فى كوريا وأصدقاء الأمس
بعضهم البعض بأقسى أسلحة الدمار ، وشبح الحرب يخيم
من جديد ...

فى شنغهاى ، ظهرت باندا بذلك الزى الإ
لكنها ما لبثت أن خلعته كى تعمل ساقية فى ال
بشنغهاى ... وهناك ، أمدتها تجربتها مع ما
تدريبات ، على اكتشاف سر هائل ، وهو أن
الشهير ، لم يكن سوى مقر قيادة المخابرات الس
كى . جى . بى ــ فى تلك المنطقة التى كانت
مشتعلة فى العالم ...

فى هذا البار وجدت باندا نفسها وسط عشرات الع
يتلقون المعلومات من بورما وكوريا وأندونيسيا وسيام وا
والفلبين ... ومن هذا المكان أرسلت باندا إلى ر.س
بمعلومات وفيرة عن تحركات الشيوعيون فى أرجاء آس
معلومات باندا غزيرة كما كانت كلها صحيحة ... و

ته ... لم تظهر فى « شنج كنج » كممرضة فى هيئة الإغاثة
ية ولا كساقية فى بار ... بل ظهرت كأندونيسية متعصبة لمبدأ
يا للآسيويين » ... بدت للجميع فى هذه المدينة فتاة تتفجر
ة والحماس والأمل فى أن يرفرف العلم الأحمر فوق ربوع اسيا
... ظهرت فى المدينة التى كانت تشغى بالمئات من رجال الأمن
اسم « وهلمينا فان ديرين » والتى كانت زوجة لمبشر هولندى
« هانكاو » ... ولم يكن صعبا عليها ، بعد فترة وجيزة من
لها إلى « شنج كنج » أن تتعرف إلى سيدة تدعى « مانج
» ، وكانت وظيفتها هى تعليم الزعيم الصينى دروساً فى اللغات ،
بحت واحدة من أقرب صديقاتها إلى نفسها ، وفى تلك المدينة ،
ملت باندا الإرسال اللاسلكى ، فى بث المعلومات إلى
يكيين فى طوكيو باليابان ... كانت فى تلك الأيام تبدو شجاعة
حد يفوق الوصف ، لكنها ، فى حقيقة الأمر ، بدت وكأنها
ل لحظة موتها !!

أرسلت إلى الأمريكيين تقارير وافية عن الحركات الشيوعية السرية فى بورما ، وسيام ، والهند الصينية ... كما بعثت بمعلومات لا تقدر بمال عن مساعدة ماوتسى تونج لقوات فيتنام الشمالية ... كما أرسلت أول خبر عن الوقت المناسبة للتدخل الشيوعى فى كوريا .

فى اليابان من المخابرات الأمريكية بمكان وجودها ... و
الأمر ، إن الذين كانوا يعرفون حقيقة باندا ماكلويد كان
الرءوس الكبيرة ... أما باقى الرجال فلم يكونوا يعرفون
ذلك الاسم الكودى الذى أطلقوه عليها ، وهو « زهرة ال

• • •

فى عام ١٩٥٠ اختفت زهرة الشمس مرة أخرى دو
أحد عن مكانها شىء ، ولقد أثار هذا الاختفاء قلق الرج
فكلفوا عدداً من جواسيسهم فى الصين ، بالبحث
جدوى ... لم تعد زهرة الشمس تظهر فى « شنج كنج »
الشديد فى تلك المدينة ، من ماوتسى تونج وحاشيته ...
زهرة الشمس فى شنغهاى ... فإلى أين ذهبت إذن ؟!

ثم .... فجأة ، ظهرت زهرة الشمس فى مدينة « ماليـ
الكورية ، ومن هناك أرسلت تقريراً وافياً عن الهجوم الـ
كوريا ... وما هى إلا أسابيع ، حتى نشبت الحرب بالـ

• • •

مرة أخرى ران الصمت على باندا ماكلويد ،
الشمس ...

لكنه صمت استمر شهوراً ستة لا يعرف أحد عنها شيئ

اجه فى صبيحة اليوم التالى لوصوله إلى سنغهاى ، إلى مكتب
رات البريطانية فى المدينة .

عترض الحارس ، وكان برتبة عريف ، طريق الرجل :

« إلى أين تظن أنك ذاهب أيها السيد ؟! »

هكذا سأله العريف فأجابه الرجل المنهك القوى :

أريد أن أرى واحداً من المسئولين هنا ! »

كانت هيئة الرجل لا تبدو مشجعة ، بل أن القذارة البادية عليه
ت تثير التقزز ... كاد العريف أن يطرد الرجل ، لولا نظراته تلك
سلة ، وصوته الواهن وهو يقول :

**« اسمع أيها العريف ، لم أعد قادراً على السير خطوة واحدة ،
ى ذلك ، فأنا لا أستطيع الاتصال بمخابراتى الخاصة ، ولابد لى
مقابلة ضابط مسئول ! »**

عد دقائق طالت قليلا ، أدخل الرجل إلى مكتب جلس فيه وحده
ق وصلت إلى الثلاثين ... بعدها فتح الباب ودخل شاب
رى قدم نفسه :

« أنا النقيب هورس ، ما الذى أستطيع ان أقدمه لك ؟ »

**« وأنا جوزيف ميخاليسكى ، الضابط السابق فى جيش روسيا
ساء ! »**

**« لقد كنت أعمل لحساب المخابرات المركزية الأ
كوريا الشمالية ! »**

« ثم ؟! »

هكذا جاء صوت الضابط البريطانى مغموساً فى برو

ولم يجد السيد ميخاليسكى سوى أن يهتف :

**« لقد قدت كتيبة الإعدام التى أعدمت باندا ماكلويد
كوريا ! »**

هب الضابط الشاب واقفا عند سماعه لاسم باندا

« ماذا قلت ؟! »

« باندا ماكلويد ، ألم تسمع بهذا الاسم ؟! »

« وهل ... ... »

**« نعم يا سيدى ، لقد أعدمت ، فهل لك أن تأم
من الشاى وسيجارة ؟! »**

٦

كان النقيب هورس ، واحداً من
البريطانيين الذين اشتركوا مع
الأمريكية فى البحث عن سر اختفاء .
الشمس»... وهكذا لعبت المصادفة
الكشف عن وفاة هذه السيدة التعسة
كان للخبر الذى قاله السيد ميخاليس
القنبلة على ضابط المخابرات البريطانى
الذى أسرع بطلب فنجان من الشا
الشطائر للضابط الروسى سيء الحظ
كان يعمل لحساب المخابرات
الأمريكية ... كان هورس يرتجف انف
يستمع إلى تفاصيل ما حدث مع باندا ف
الأخيرة .

وبطبيعة الحال ، ما أن مضى يومان بعد وصول مي
هذا ، حتى وفد إلى هونج كونج أحد رجال الـ سى . آى .
يلتقى بميخاليسكى ويسمع منه تفاصيل ما حدث !

ـاد قواه وحظى بالراحة المفتقدة — قضية بالغة الغرابة لـ
ـام باندا ماكلويد ...

ولكن ... بالرغم من معرفة الجميع لتفاصيل النهاية . فإن ملف ـا لم يغلق ... ذلك أن جزءاً هاماً من القصة ظل غامضاً . وهو ـء الخاص الذى يحكى قصة انتقال باندا من الصين إلى كوريا ... ـن السؤال المطروح هو : ما الذى دفعها إلى هذا الانتقال ؟! ... ـذا تصرفت من تلقاء نفسها ودون انتظار للأوامر ؟!...

ولثلاث سنوات كاملة ظل الملف مفتوحاً ... ولقد بذلت جهوداً ـنية لمعرفة ما حدث دون جدوى ... وبدا الأمر غريباً غرابة تبعث ـى الشك فى مثل هذا العالم . حتى جاء وقت أدرك فيه البعض : أن ـف سوف يظل مفتوحاً إلى الأبد ... ذلك أن تلك الفترة التى ـقت الانتصار النهائى للثورة الشيوعية فى الصين . وسبقت اندلاع ـرب الكورية . كانت من أحلك الفترات فى تاريخ المنطقة وأكثرها ـحاماً بالأحداث التى كانت متشابكة وكثيرة إلى درجة تبعث على ـبلة لا الحيرة فقط ...

حتى كان يوم من أيام خريف عام ١٩٥٣ ، عندما وصلت إلى ـوريا الجنوبية ، سفينة مليئة بالجنود الأمريكيين الجرحى والمرضى ـلذين كانوا فى معسكرات الاعتقال ...

وكان طبيعياً أن يكون بين الجنود عدد من المدنيين... غير أن ـحداً من هؤلاء المدنيين ، كان يعانى من مرض السل فى مراحله

معدودة ... وهو ، هو نفسه كان يشعر بقرب النهاية . منذ اللحظات الأولى ، كان له طلب بدا للجميع غريباً أن يزوره أحد ضباط المخابرات المركزية الأمريكية الطلب مستحيلا ، وبطبيعة الحال ، وفيما يختص بالأسـ كانت هناك مجموعة عمل من رجال الـ « سى . آى . إ جاهزين للاستماع كما كانوا أيضا مستعدين بعشرات الأسـ أسرع أحدهم إلى الرجل الغامض ، الذى بدا له شـ عظيما ... كان يعرف – قبل أن يدخل الغرفة — أ معدودة ، ذلك أن المرض كان قد تضافر مع الضعف التغذية ، للقضاء عليه ... لكن الغريب فى الأمر أنه لم يـ اسماً ، لا فى السفينة التى أقلته إلى كوريا الجنو المستشفى ... كما أنه لم يجد من يعرفه من الأسرى مـ

اقترب الضابط الأمريكى من المريض وهو يهمس

« اسمى الكابتن هندريكس ، وأنا من المخابـ الأمريكية ! »

أومأ المريض إلى أحد المقاعد وهو يقول :

« أرجوك أن تجلس إلى جوارى وأن تستمع إ مقاطعة ! »

باتى بعد كل الذى عانيته ! »

« ثق يا سيدى أننا سوف نفعل قصارى جهدنا لشفائك !»...

« أن اسمى الآن بيرس ! »

هتف الضابط الأمريكى :

« أوه ... مستر بيرس . لقد أعيتنا الحيل فى البحث عنك ! »

« أعرف ذلك ! »

« ثق أننا سوف نعمل المستحيل من أجلك ! »

« أرجوك أن تسمع ، فهناك ما أريد الافضاء به إليك قبل رحيل ! »

« إنى مصغ إليك ! » .

راح الآن بيرس يتحدث فى لهفة وسرعة وكأنه يخشى أن يداهمه وت قبل أن يكمل حديثه ... قال أنه أرسل إلى الصين الشعبية فى ام ١٩٤٩ ... وفى شنغهاى ، استطاع أن ينضم إلى إحدى بعثات صليب الأحمر التى كان مقرراً لها أن تسافر إلى « شنج كنج » مقر ادة ماوتسى تونج ...

« ... ... وهناك ألتقيت بسيدة جميلة تحمل اسم « وهلمينا فان يرين » ، وقالت أنها كانت زوجة لمبشر هولندى فى هانكاو »

« وهلمينا فان ديرين ، وكانت تتمتع بعلاقات حم من أعوان الزعيم الصينى ماوتسى تونج ! »

توقف بيرس عن الحديث ريثما يلتقط أنفاسه الم الكابتن هندريكس يكدح زناد فكره ، فلقد كان اسم بالذات يبدو له مألوفا بعض الشيء ... وعندما ع الحديث ، أعطاه كل اهتمامه ... قال :

« ظننت إذا كانت هذه السيدة زوجة لم حقاً ، فلابد أنها من الممكن أن تتعاون معنا أن بدأت الحديث معها حتى صارحتنى بأن هو « باندا ماكلويد » ، وأنها تعمل لحساب الذين جندوها فى باتافيا عاصمة جاوه ! »

عاد بيرس إلى الصمت من جديد !

أما الكابتن هندريكس فلقد كان ينتفض انفعالا لما أنه كان على علم بقصة « زهرة الشمس » وذلك الجزء حيرهم منذ ثلاث سنوات ... ولقد لزم بيرس الصم بعدها إلى الحديث :

« كان من أصعب الأمور أن أصدقها ، فكيف تعت

وضع فى القائمة السوداء !! »

كان الأمر ، ليس بالنسبة للسيد بيرس وحده ، ولكن بالنسبة
القوانين والأعراف ، خرقا جريئاً لكل قواعد الأمن ... غير أن
بيرس ، عرف فى نفس الليلة من مصادره الخاصة ، أن اسمه
قد وضع بالفعل فى القائمة السوداء ، وعلى هذا فلقد قرر أن
إلى كوريا ، إلى مالينج سونج بالذات !.

أضاف السيد بيرس :

**وكان لابد لى أن أصف الطريق لباندا بعد أن عرفت حقيقتها
رحيلى ، ورغم خطورة اتصالى بها إلا أنها غامرت ، ووصفت
طريق من « شنج كنج » حتى « مالينج سونج » ، وطلبت منها
تردد فى الهرب إذا ما أحسست بأى خطر ! »**

دأت قوى السيد بيرس فى الأنهيار فجأة ، فراح يلهث وراء
ات :

**وصلت إلى مالينج سونج بعد ثلاثة أسابيع ، وهناك علمت أن
ة من أقرب صديقات باندا ومن المقربين لماوتسى تونج قد تم
لها ، فأدركت أن باندا لابد سوف تلحق بى أن استطاعت
ات ! »**

بالفعل وصلت باندا إلى مالينج سونج قبل اشتعال الحرب

باندا قد أصابه العطب ، ثم كان بيرس
يرسل تقاريره ، فعكف على إصلاح جهازها ، ومن
كلاهما تقريره إلى طوكيو .

**« ... ثم ... ثم افترقنا بعد ذلك ! واعتقلت
أسابيع !. ولم أعرف شيئاً عنها بعد ذلك ! »**

• • •

لفظ السيد بيرس أنفاسه الأخيرة بعد بضع س
الكابتن هندريكس كان يعلم أنه أصبح يملك كنزاً من
« زهرة الشمس » أو باندا ماكلويد ، ومالبث أن طار إ
كان هذا بعد واحد وعشرين يوما بالتمام والكمال ...
الكابتن هندريكس بما لديه لرؤسائه ... حتى اجت
المخابرات الأمريكية فى إحدى غرف المبنى الذى كان ه
فى طوكيو ، كان الاجتماع بينهما سريا للغاية ، وكا
يبعث على الشجن ... فبعد أن وضعت قصة بيرس
اكتملت كل المعلومات الخاصة بباندا ماكلويد ..
الشمس » ابنة ماتاهارى !

• • •

والآن ... ما الذى قاله السيد ميخاليسكى قبل ثلا
حديث السيد بيرس ؟!

وا على سيدة تعمل لحساب الأمريكيين فى مالينج سونج ، وأن لمه كمة سريعة قد تمت ، بعد العثور على جهاز اللاسلكى الذى كانت عمله فى إرسال المعلومات إلى المركز فى اليابان ... وأن حكماً عدام رمياً بالرصاص قد صدر ضدها ...

كان الوقت شتاء وقد وصلت درجة الحرارة إلى مادون الثلاثين ت الصفر ، وبالرغم من هذا ، فلقد ألقوا بها فى كوخ ليس به ش أو غطاء ... لم يكن هناك سوى حشية معبئة بالأوراق ديمة ، ونوافذ الكوخ قد تحطم زجاجها واستعاضوا عنه بورق رى لم يصمد طويلا أمام العواصف الثلجية التى كانت تجتاح طقة اجتياحا ... غير أن السيدة – هكذا قال ميخاليسكى – ت ترتدى من الملابس ما يكفى لأن تقيها شر الموت بردا ، ترات طويلة لم تخلع ملابسها ، وظلت فى هذا الكوخ حتى صدر كم ضدها .

• • •

كان الفجر يقترب عندما استيقظت باندا ماكلويد من نومها على صوات فى الخارج ، كان صوت الرياح قوياً وعنيفاً وقطع الثلج ندوف تتساقط منذ مساء الأمس دون توقف ، همت بالنهوض من دتها عندما اقتربت الأصوات من الكوخ ، لكن جسدها كان بيساً تقريبا ، وكان الظلام فى الكوخ دامساً ، وكانت هى تعرف

... كلما اقتربت الأصوات من الكوخ ، الـ قدرها المحتوم ...

توقفت الأصوات والأقدام ، وفتح الباب .

وفزعت باندا ...

كانت الآن شاحبة واهنة تقدمت بها السن كثيراً عـ ولابد أنها كانت قد فقدت الكثير من سحرها وجمالها الـ بهما ... دفعها الخوف والفزع إلى النهوض فجلست تحملق فى الباب المفتوح وكانت ترتعد من البرد والفزع أشباح كانت تروح وتجىء وتتحرك فى فتحة الباب ... وجيب قلبها ، فلابد أنهم الآن يجهزون ساحة الإعدام النار .

كان اليوم هو يوم ٢٤ ديسمبر عام ١٩٥٠ ، وكـ الكورية مشتعلة منذ شهور ... بعد دقائق مرت كأنها د مصباح كهربى يحمله رجل ... وفى الحال ، أضى آخرين ... وراحت أشعة المصابيح الثلاثة تفتش عنها فى الملىء بالأثاث القديم والمتهالك ... حتى إذا استقرت أشـ المصابيح على وجهها . توقفت حركة الرجال ، وانـ المصباحين الآخرين إلى شعاع المصباح الأول فأعـ عينيها ...

« هل أنت خائفة ياسيدتى ! »

« أنا لست خائفة فقط ، ولكنى فزعه ! »

مضت لحظات صمت لم يأتيها فيها جواب ، فعادت تقول :

« ماذا تريدون منى ؟! »

تقدم منها أحد الرجال ، وحملق فى وجهها طويلا ثم قال :

« ألست فاشستيه ؟! »

راحت ترتعد بعنف ، فلقد هبت من الخارج دوامة من الهواء
لت معها قطعاً من الثلج المتساقط .

« انهضى ! »

هكذا جاءها الصوت مرة أخرى ، حاولت النهوض ولكنها
نشفت أن ساقيها قد غطيتا بطبقة من الثلج جعلت إحساسها بهما
دوما ، جاء صوتها الواهن يقول :

« لاأستطيع ! »

جذبها الرجل بعنف قائلا :

« انهضى ! »

من قلب الظلاج جاء صوت رجل صارم النبرات :

« لاتفعل هذا ! »

مد الرجل يده كى يساعدها على النهوض بمس
ترنح ... كان هذا الذى امسك بذراعها يرتدى بذ
خطوط طويلة تمتد من أعلى إلى أسفل ، وكانت قبض
وكأنها تحدثها بلغة خاصة ، رفعت باندا عينيها وحملت
فغمغم فى صوت هامس :

« لاتفكرى كثيرا ، فلن تعرفينى وإن كنت
المعرفة ! »

ولابد أنه باندا فكرت فى تلك اللحظة ، أن حديث
سوى خدعة من تلك الخدع التى تدفعها إلى الاعتر

غادرت الكوخ وهى تسير بين الرجلين ... بينما ب
الكوخ ... كانت تسير بصعوبة بالغة ، كما أنها كانت ت
الرجل :

« أليست لديك ملابس أخرى ؟! » .

هزت رأسها نفيا ...

وكان عليهم الآن أن يخترقوا المعسكر من أقصى ال
الغرب حيث تقوم ثكنات الجنود ، واستغرقت الرح
دقيقة ، سقطت خلالها باندا مرتين أثناء السير ، لكنها
من الآلام ، تنهض كى تواصل السير .

الذى سوف تفعله بها أيها الرفيق ؟! »

القومسبير لن يأتى قبل السادسة صباحا ، ولذلك فلسوف
هذه الغرفة إلى أن يأتى ! » .

ب الغرفة وكانت خالية تماما من الأثاث ، لكنها — على كل
أكثر دفئا من ذلك الزمهرير فى الخارج ، ما أن دلفت إلى
حتى أغلقوا الباب عليها .

يخاليسكى ، أنه كان المسئول فى تلك الليلة عن باندا
وأنه فكر فى وسيلة تهريبها وكان هذا مستحيلا بكل
. أكثر ما كان يضايقه ، أن الأمر كان قد صدر له فى الليلة
بأن يقود فرقة ضرب النار عند تنفيذ حكم الإعدام فى

اب ميخاليسكى مع زميله السابق لساعة ، ثم عاد إليها ،
فى رفق ودلف إلى الداخل ، فانكمشت باندا لرؤيته
بالحائط .

تريد ؟ ! »

من ملابسه « تورمسا » صغيراً قدمه لها هامساً :

قليلا من هذا الشراب الساخن ، فسوف يفيدك ! »

« لماذا لاتقضون على بسرعة ! »

هكذا سألت فعاد ميخاليسكى إلى الهمس :

« إنى أفكر فى وسيلة لإنقاذك ، ولسوف أحاول ،
أشك فى أن محاولتى سوف تنجح ! »

قال هذا وهو يحيطها بذراعه ، ويصب الشراب
فمها :

« ماذا تريد منى ؟! »

« لقد وصل القومسيير ، هل تريدين نصيحتى ؟!

«ماذا تريد أن تقول ؟! »

« سوف يعرضون عليكى التعاون معهم ،
بالموافقة ! »

« ليتنى أستطيع ! »

لم يفهم ميخاليسكى المغزى الكامن وراء جملتها فعاد
وهو يصب بعضاً من الشراب بين شفتيها :

« أقول لك تظاهرى أيتها السيدة ، تظاهرى بالمو
رأسك ! »

« لست بقادرة على التظاهر . ! »